



ANNALES ISLAMOLOGIQUES

en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne

AnIsl 43 (2009), p. 376-416

Mervat 'Oṭman Ḥassan

المملوكي طائفة المغاني في مصر في العصر. Ṭā'ift al-maḡānī fī Maṣr fī al-'aṣr al-mamlūkī.

Conditions d'utilisation

L'utilisation du contenu de ce site est limitée à un usage personnel et non commercial. Toute autre utilisation du site et de son contenu est soumise à une autorisation préalable de l'éditeur (contact AT ifao.egnet.net). Le copyright est conservé par l'éditeur (Ifao).

Conditions of Use

You may use content in this website only for your personal, noncommercial use. Any further use of this website and its content is forbidden, unless you have obtained prior permission from the publisher (contact AT ifao.egnet.net). The copyright is retained by the publisher (Ifao).

Dernières publications

9782724711714	<i>La pensée et la pratique pharmacologiques d'Avicenne</i>	Sylvie Ayari
9782724711899	<i>BCAI 40</i>	
9782724711288	<i>Karnak-Nord XI</i>	Colin Hope
9782724711622	<i>BIFAO 126</i>	
9782724711059	<i>Les Inscriptions de visiteurs dans les Tombes thébaines</i>	Chloé Ragazzoli
9782724711455	<i>Les émotions dans l'Égypte Ancienne</i>	Rania Y. Merzeban (éd.), Marie-Lys Arnette (éd.), Dimitri Laboury, Cédric Larcher
9782724711639	<i>AnIsl 60</i>	
9782724711448	<i>Athribis XI</i>	Marcus Müller (éd.)

طائفة المغاني في مصر في العصر المملوكي

الغناء^١ في العصر المملوكي

إهتم الناس على مر العصور إهتماماً كبيراً بالموسيقى والغناء بكل أنواعها، مما جعل للموسيقى والغناء أهمية كبيرة في العصور المختلفة، ويرتبط الغناء بالموسيقى إرتباط التوأم بشقه الثاني، وقد حقق الغناء إنتشاره وحضوره المؤثر منذ أيام العرب الأولى^٢ وقد إرتفع شأن الغناء في العصور المختلفة بصفة عامة وعصر سلاطين المماليك بصفة خاصة، ويقال أن هذا الذي عليه المماليك من حب للفنون والغناء والموسيقا ورثوه من أسلافهم الفاطميين والأيوبيين،

١. تتقدم الباحثة بخالص الشكر والتقدير إلى أساتذتها وزملائها الذين أثروا البحث بملاحظاتهم السديدة عند إلقاءه في الموسم الثقافي للجمعية المصرية للدراسات التاريخية لعام ٢٠٠٨ - ٢٠٠٩ م.

غنى غ ن ن الغنة صوت في الحيشوم والأغن الذي يتكلم به من قبل خياشيمه يقال طير أغن وواد أغن أي كثير العشب لأنه إذا كان كذلك ألفه الذباب وفي أصواتها غنة ومنه قيل للقريه الكثيره الأهل والعشب غناء وأما قولهم واد مغن فهو الذي صارت فيه صوت الذباب ولا يكون الذباب إلا في واد مخصب معشب. غ ن ي غنى به عنه بالكسر غنيه بالضم وغنيت المرأة بزوجه غنياً بالضم واستغنت وغنى بالمكان أقام به وغنى أيضاً عاشى وبأبها صدى وأغنيت عنك مغنى فلان ومغناه فلان بضم الميم وفتحها فيها أى أجزاء عنك مجزأة وما يغنى عنك هذا أى ما يجزئ عنك وما ينفكك والغانية الجارية التي غنيت بزوجهها وقد تكون التي غنيت بحسنها وجمالها والأغنية كالأحجية الغناء والجمع الأغاني تقول منه تغنى وغنى بمعني والغناء بالفتح والمد النفع وبالكسر والمد السماع وبالكسر القصر اليسار تقول منه غنى بالكسر غنى فهو غنى وتغنى أيضاً أى إستغنى وتغانوا استغنى بعضهم عن بعض والغنى مقصور واحد المغانى وهي المواضع التي كان بها أهلوها، انظر: الرازي، مختار الصحاح، ج١، ص ٢٠٢؛ ابن منظور، لسان العرب، ج١٥، ص ١٣٩، ١٤٠. وكل من رفع صوته ووالاه فصوته عند العرب غناء والغناء بالفتح النفع والغناء بالكسر من السماع والغنى مقصور اليسار قال ابن الأعرابي كانت العرب تتغنى بالركباني إذا ركبت الإبل وإذا جلست في الأفنية وعلى أكثر أحوالها فلما نزل القرآن أحب النبي أن يكون هجيراهم بالقرآن مكان التغنى، ويقال غنى فلان يغنى أغنية وتغنى بأغنية حسنة وجمعها الأغاني أنظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٥، ص ١٣٧ وما بعدها. وغنى بالتشديد إذا ترنم بالغناء ورفع الصوت إلى الغاية بالأنغام جمع نغم محرمة وهو ترجيح الغناء وترديده، أنظر: الزبيدي، تاج العروس، ج١، ص ٩٥. والمغاني جمع معنى بمعني الغناء ولم يقف على هذا في اللغة، إنما المعنى: المنزل، وقد يريد به جمع من على طرح زيادة الضعف، وإن كان بعيداً في القياس، السبكي، معيد النعم ومبيد النقم، ص ١٩.

٢. www.azmimah.com, www.neelwalurat.com

فأقبل أمراؤهم وسلاطينهم على تلك الفنون وضروب الملاهي ومتع الحياة ولذاتها إقبالاً لم يعرف لأسلافهم من قبل فانغمسوا فيه إنغماساً شديداً حتى كادت حياتهم كلها تكون للإستمتاع من هذا كله بنصيب وافر، وبهذا أرخو للناس من حولهم أن يشاركوهم تلك المتع وهذا الطرب، وما أن وجد المصريون في سلاطينهم من المماليك هذا الميل وهذا الشغف حتى أقبلوا معهم يشاركونهم ذلك الإستمتاع، وما فعل المماليك غير أن حركوا ذلك الدفين في نفوس المصريين، فإذا هم يجدون منهم سماعاً وعشيرة طرب ورفقة إستمتاع^٣.

وقد كان إقبال المصريين على الغناء في عصر المماليك إقبال المتذوقين الدارسين فهم كما كانوا يستحسنون يستهجنون، وكما يستجدون يستبحون^٤؛ فالحديث عن الغناء والمغنيين لا يتم دون موسيقي فالموسيقي والغناء يكونان معاً، فلا موسيقي دون أن يكون معها غناء، وعلى العكس من ذلك قد يكون غناء وليس معه موسيقي، وإن كان هذا لا يحدث إلا في القليل النادر هو الآخر، فلم نسمع عن عواد أو طنبورى أو زمار أو طبال أو رقاق أى صاحب رق إنفرد بحفل بعينه أو بمجتمع بذاته ينفرد بالموسيقى فقط، بل كان هذا الموسيقي على اختلاف ضروبه وتنوع فنونه دوماً لا يظهر، إلا في مصاحبة مغن أو مغنية حين ينعقد للسمع مجلس، فالفن الموسيقي والفن الغنائي يرتبطان بعضهما البعض إرتباطاً وثيقاً، وقد شهد العصر المملوكى وجود الآلات الموسيقية مثل العود، والطنبور، والمزمار، والطبل، والرق، والكمنجة، والرباب، والطنبورة، والقانون، والساجات، والنقارات^٥ وللأسف أن المراجع التي تحدثت عن الموسيقى في العصر المملوكى لم تكن مراجع متخصصة فذكرتها ومرت عليها مر الكرام.

أشهر المغنيين في العصر المملوكي

نالت الموسيقى والغناء أهمية كبيرة في العصر المملوكي فقد ساعد على ذلك تشجيع السلاطين والأمراء^٦ وإغداقهم على المغنيين والمغنيات، ولا عجب إذا وجدنا أدباء عصر المماليك وشعراء يكثر من ذكر المغنيين والمغنيات في شعرهم ونثرهم^٧ فقد عرفنا إسم مُغنى من خلال الشعر، فذكر لنا بعض شعراء العصر إسم لمُغنى في شعره.

لنا أتى للعاديات وزلزلت	حفظ النساء وما قرأ للواقعة
فلأجل هذا الملك أضحى لم يكن	وأتى القتال وفُصِّلت بالقارعة
لو عامل الرحمن فاز بكهفة	وبنصره في عصره للسابعة
من كانت القينات من أحزابة	عطعت به الدخان نار لامة ^٨

٣. محمد قنديل البقل، الطرب، ص ١٠.

٤. محمد قنديل البقل، الطرب، ص ١٣.

٥. سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص ١١٧.

٦. وعن اشتهر بالبراعة في فن الموسيقى في ذلك العصر الأمير إشقتمر المارديني المتوفي سنة ٧٩١هـ أنظر، سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص ١١٦.

٧. سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص ١١٦؛ محمد قنديل البقل، الطرب، ص ١٢.

٨. ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص ١، ص ٥٧٨ - ٥٧٩.

وقد أشار الناظم بقوله «عطط» وهم إسم مُغنى، من ندماء السلطان الناصر حسن وكان يحضر في مجلسه^٩ وقد كان عطط هذا مُغنى كان يُعنى بمصر والشام^{١٠} ومن أشهر مُغنى عصر سلاطين المماليك إتفاق العوادة التي تعلمت ضرب العود على يد عبد على العواد، فمهرت في الغناء، وكانت إتفاق حسنة الصوت جيدة الغناء فقدمتها ضامنة للمغاني لبيت السلطان فاشتهرت فيه بالغناء^{١١} وقد كان لها نصيب كبير في تسابق ثلاثة إخوة من السلاطين هم الصالح إسماعيل وشعبان وحاجى على طلبها^{١٢} واليك أشهر مغنيين العصر المملوكي .

أشهر مغنيين العصر المملوكي	مكانتهم في الدولة
عبد العزيز الحفنى	وقد وصف بأنه أعجوبة زمانة في فن الغناء ^{١٣} . ت ٧١٠هـ / ١٣١٠ - ١٣١١ م.
خديجة الرحابية	وكانت ذات مكانة عالية وكبيرة عند أهل الدولة ^{١٤} ، كانت تغنى للرجال والنساء أى أنها عاشت تغنى لعامة الشعب فى الميدان العام وحظيت عند أصحاب السلطة فى الدولة وكانت الناس تحكى عن جمال صوتها وتمتدح شكلها فكانت فتنة عصرها غناءً وشكلاً ^{١٥} ، ت سنة ٨٨٧هـ / ١٤٨٢ م.
خوبى العوادة	فقد كانت مغنية فائقة فى ضرب العود فاشتراها بكتمر الساقى بعشرة آلاف دينار، ويقال أنه لم يدخل مصر لها نظير فى الغناء وضرب العود ^{١٦} .
عبد على العواد	مُعلم إتفاق العوادة، فى عهد السلطان المظفر حاجى ^{١٧} وقد كان صوته رائع.
إبراهيم بن بابى صارم الدين	كان مقرباً عند المؤيد شيخ أبى النفس إليه المنتهى فى جودة الضرب بالعود، ولم يخلف بعده مثله، وهو أحد ندماء السلطان المؤيد شيخ ومغنيه المحبب لدية، كان أعجوبة زمانة فى ضرب العود والغناء، ولم يكن جيد الصوت فحسب بل كان رأساً فى العود وفى فن الموسيقى إنتهت اليه الرياسة فى ذلك، قبل أنه رومى الأصل فى لسانه عجمة، لكن يديه الضاربتين على العود كانتا تنسى عجمة لسانه ^{١٨} ، ت سنة ٨٢١هـ / ١٤١٨ م.

٩. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص ٥٧٨ - ٥٧٩.
١٠. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٠، ص ١٢.
١١. المقرئى، السلوك، جـ٢، ق٣، ص ٧١٥.
١٢. ابن الصيرفى، نزهة النفوس والأبدان، جـ١، ص ٢١١؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ١، ص ٩١؛ محمد قنديل البقل، الطرب فى العصر المملوكى، ص ٤٤ - ٤٦.
١٣. السخاوى، الضوء اللامع، جـ١٢، ص ٣٣؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ٢٠٧؛ سعيد عاشور، المجتمع المصرى، ص ١١٦.
١٤. السخاوى، الضوء اللامع، جـ١٢، ص ٣٣؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص ٢٠٧؛ أحمد الصاوى، أوراق من تاريخ عمل المرأة المصرية، ص ٦٤.
١٥. محمد قنديل البقل، الطرب فى العصر المملوكى، ص ٨٢ - ٨٣.
١٦. ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٢، ص ٩٥؛ سعيد عاشور، المجتمع المصرى، ص ١١٨، ويبدو من إسمها أنها كانت من أصل تركى أو إيرانى، أنظر: أحمد الصاوى، أوراق من تاريخ عمل المرأة المصرية، ص ٦٤.
١٧. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٠، ص ٢٥٤.
١٨. السخاوى، الضوء اللامع، جـ١، ص ٣٢؛ محمد قنديل البقل، الطرب، ص ٢٥.

أشهر مغنيين العصر المملوكي	مكائنتهم في الدولة
كتيلة بن قرانغان	وقد ذاعت شهرته أيام الناصر محمد بن قلاوون الذي كان السلطان يرسل في جلبيه من ماردين، وإنتهى إليه حسن الطرب بالجنك العجمي، وكان يسأل السلطان في العودة إلى ماردين فيقيم مرة ويرجع بطلب السلطان ^{١٩} وتعلم الكثير من الجوّاري على يديه وتخرج على يديه العديد منهم ^{٢٠} .
عمر بن خضر بن جعفر بن زاده الدشتي جمال الدين أبو سعيد الكردي	إجتهد حتى فاق في الغناء، ثم جاء إلى بلاد الشام فاخص به الأمير سيف الدين تنكز نائب السلطنة ببلاد الشام، وعندما بلغ الناصر محمد خبره إستدعاه وأعطاه خبز حلقة «أى إقطاعاً» ثم رتب له راتباً، وهو مؤلف لشتى الآلات الموسيقية التي شاع إستعمالها في ذلك العصر ^{٢١} .
ابن الفصيح عبد العزيز	ويقال إنه كان أعجوبة زمانة في صناعة الغناء ت سنة ٧١٠هـ / ١٣٢١م.
محمد بن علي المازني الدهان	وكان عارفاً بالغناء، ويجيد اللعب بالقانون.
عمر بن خضر بن جعفر الكردي	قدم من الشام، إختص بنائب السلطان الناصر علي الشام الأمير تنكز، وصار يُعلم جواريه الغناء، ولما سمع به الناصر إستدعاه ورتب له راتباً، ولقد وضع عمر ابن خضر هذا كتاباً في الموسيقى إسمه الكنز المطلوب في الدوائر والضروب ^{٢٢} .
عزيزة بنت السطحي	كانت من أعيان مغاني مصر وفريدة عصرها في التشيد مع حسن الصوت وفصاحة بإعراب الشعر فلم يخلفها من بعدها أحد من النساء المغاني، ورأت من الأعيان وأرباب الدولة غاية العز والعظمة ما لا رآه غيرها من أرباب هذا الفن، وعندها بضع وثمانين سنة، وكان لها شهرة عظيمة بمصر ^{٢٣} ت سنة ٩٠٦هـ / ١٥٠٠م.
أصيل القلعية	وكانت من أعيان مغاني البلد، رأت من الأعيان وأرباب الدولة غاية الحظ والإحسان لها ^{٢٤} ، كانت تغني الأغاني الخفيفة، وبهذا الإنفراد بذلك اللون الخاص من الغناء إشتهرت أصيل القلعية وذاع صيتها وأصبحت ذات حظوة بين الرؤساء والأعيان ثم بين عامة الشعب، فقد كان الغناء الخفيف تطرب له العامة قبل الخاصة.
هيفة اللذيذة	كانت تغني الغناء الأصيل والمطولات من الأغاني ^{٢٥} .
الريسة حديجة أم خوخته	من المغنيات المشهورات، وكانت من أعيان مغاني الدكة ولها في هذا الفن اليد الطولى، ت سنة ٩١٨هـ / ١٥١٢م.

١٩. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٣، ص ٢٣٤.

٢٠. محمد قنديل البقلي، الطرب، ص ٤٩.

٢١. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٣، ص ١٦٤.

٢٢. محمد قنديل البقلي، الطرب، ص ٥٠.

٢٣. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص ٨؛ أحمد الصاوي، أوراق من تاريخ عمل المرأة المصرية، ص ٦٤.

٢٤. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٣١١؛ أحمد تيمور، الموسيقى والغناء عند العرب، ص ١٦٦.

٢٥. محمد قنديل البقلي، الطرب، ص ٨٤ - ٨٥؛ ٨٨.

أشهر مغنيين العصر المملوكي	مكائهم في الدولة
الريسة بدرية بنت جريعة	كانت من أعيان المغاني ولها شهرة بينهن واسعة، وضيقة الحموية وهي التي أنشدت في السلطان الناصر محمد بن قلاوون قائلة ^{٢٦} .
دينا بنت الإقناعي	عاشت في دمشق، إشتهرت في عصرها بالتقدم فاستدعاها الناصر فأكرمها، ثم وفدت على الملك الأشرف فحظيت عنده وكانت هذه المغنية سبباً رئيسياً في إسقاط مكس الأغاني، فقد طلبت ذلك من السلطان وأجابها إلى طلبها ^{٢٧} ت سنة ٧٧٨هـ / ١٣٧٦م.

الإنشاد الديني

أما عن الإنشاد الديني فهو نوعاً آخر من الغناء أو بمعني أدق التوشيحاحات الدينية، وهناك العديد من المُغنيين ممن إشتهروا بين قراء القرآن الكريم، وكانت لهم منزلة مرموقة في إجادة الترتيل، فلقد عرف عن هؤلاء أنهم كانت لهم مشاركات في الغناء الديني في ذلك النوع المعروف بالموالد والتوشيحاحات الدينية، إذن فلم يكن غريباً أن نجد في العصر المملوكي رجلاً مغني من مشاهير الوعاظ في ذلك الوقت، هو شمس الدين محمد بن حلة، يعرف عنه إلى جانب شهرته في الوعظ وأثره فيه أنه كان منشداً مغنياً ومطرباً^{٢٨}، واشتهر في الغناء أستاذ فن التشيد^{٢٩} ناصر الدين محمد المازوني فهو أحد الأفراد في إنشاء القصيد وعمل السماع وكان من عجائب الدنيا في فنونه، كما كان صوته صوتاً كاملاً أوزاناً^{٣٠} مع شجاعة وحلاوة وكان رأساً في إنشاد القصيد على الضروب والحدود، له تسبيح هائل على المآذن كان يشارك في الموسيقى مشاركة جيدة، ويعظ في عقود الأنكحة، ففي شهرته ما يغني عن الإطناب ذكره^{٣١}، وتمكن من نفوس الناس بغنائه ثم بأدبه^{٣٢}.

وثمة مغنٍ آخر هو الرئيس نور الدين علي بن رحاب المغني الناشد المادح فريد عصره، ووحيد دهره كان من نوادر الزمان ويركز الخفائف بالألحان الغربية، وينظم الشعر وكان آخر مغاني الدكة في الدخول والطرب^{٣٣} وقيل أنه كان من المغنيين المقربين من بلاط السلطان قايتباي، فلم يكن يخلو حفل عام يقيمه السلطان قايتباي إلا ويحضره ذلك المغني فقد ذاعت شهرته في الغناء وعلا صيته^{٣٤}.

٢٦. أحمد الصاوي، أوراق من تاريخ عمل المرأة المصرية، ص ٦٥.

٢٧. خليل البدوي، موسوعة شهرات النساء، ص ١١٣-١١٤.

٢٨. محمد قنديل البقلي، الطرب، ص ١٧.

٢٩. هو محمد ناصر الدين المغربي الأصل القاهري المغني المعروف بالمازوني، أنظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج ١٠، ص ١١٦.

٣٠. أوزانيم ولعلها زيرويم لأن الصوت الكامل هو الذي يجمع بين الطبقتين طبقة الزير وطبقة الهم، أنظر: العيني، السيف المهند، ص ١١٦؛ الفارابي، الموسيقى الكبيرة، ص ٥٥٣؛ نقلاً عن بن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٦، ص ١٩٣ حاشية ١.

٣١. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٦، ص ١٩٣؛ ابن اياس، بدائع الزهور، ج ٢، ص ٣٤٦.

٣٢. محمد قنديل البقلي، الطرب، ص ٧٦-٧٧.

٣٣. ابن اياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٤٣٥.

٣٤. البقلي، الطرب، ص ١٠٣.

لقد كانت شهرة بعض المُغنين الفائقة مثل ابن رحاب بواته منزلة بين الكبار والأمراء، وهذه المنزلة أغرت ابن رحاب أن يشارك في الحياة السياسية عن قرب وأنه كان يصطنع أغاني أو يكلف من يصنع له تلك الأغاني في هجاء بعض الأمراء الذين كانوا على عدا من يميل إليهم من أمراء آخرين، ففي عهد السلطان الظاهر قانصوه ابن قانصوه، قبض الأمير طومان باي على المُغني ابن رحاب سنة ٩٠٤هـ / ١٤٩٨م، وكان السبب في ذلك أن ابن رحاب كان يتشيع للأمر أقبردى الدوادار الثائر على السلطان، وكان يسب الأمراء ويهجوهم بأفحش هجاء، فنقل عنه ذلك للسلطان، فوكل إلى الأمير طومان باي أن يقبض عليه وأن يضربه بالمقارع وأن يُشهر به وهو عريان الرأس على حمار^{٣٥}، لقد كان ابن رحاب على مستوى اجتماعي كبير، وكانت له مشاركة في شؤون البلد لا تقل عن أى مشاركة لسياسي معروف، وممن له باع أيضاً في الغناء الديني المغنى الموسيقي المعروف ببرقوق التونسي وكان بارعاً في الغناء والإنشاد وكان له شهرة عظيمة قدم من الغرب يروم الحاج فتوفى بالقاهرة عام ٨٧٥ - ٨٧٦هـ / ١٤٧٠ - ١٤٧١م^{٣٦}.

وكانوا يطلقون لفظ أستاذ على المغنى ولفظ الريسة على المغنية^{٣٧} ويحدثنا ابن إياس عن وفاة بعض المغنيين الذين كانت لهم شهره كبيره أيضاً في العصر المملوكي فيذكر في حديثه عام ٨٨٨هـ / ١٤٨٣م، عن وفاة الواعظ الناشد المادح أبو الفدا الذي كان من أعيان دواخل مصر في حسن الصوت وجودة الغناء وكان لا بأس به^{٣٨} وعام ٨٩٢هـ / ١٤٨٦م توفي المنشد المطرب الواعظ المادح شمس الدين محمد بن حله وكان من مشاهير الواعظ وله نظم جيدة^{٣٩}، وكان على حظ كبير من الفصاحة والثقافة^{٤٠}.

وقد ظهر أيضاً من المقرئين الواعظين التقى بن الثقة الإسناي صالح بن عبد القوي فقد كان أول أمره مقرئاً حسن الصوت ثم أصبح بعد قليل موسيقياً مغنياً^{٤١}، ومن الوعاظ المشهورين الذين أقبل الناس عليهم ابن قراح أحمد بن محمد القاهري يقبل عليه الناس ويتلهفون لسماعه وهو يعظهم بسحر كلامه ولكنه كان إلى جانب هذا شاعراً له الشعر الحسن، ثم يلحنه ثم يغنيه، كما كانت له اليد العليا في الضرب على العود، ولقد عرف حسن صوته حينما كان يؤذن به، ويقال أن المؤيد كان يميل إلى سماع صوته وهو يؤذن، وكان يستصحبه في رياضاته وخلواته، ومن المرجح أن يكون احتضان المؤيد له وميله إلى الاستماع منه هو الذي شجع ابن القراح إلى أن يهجر الوعظ إلى الغناء^{٤٢}.

وقد تألق نجم كثير من أهل هذه الفنون بدليل ما ذكره ابن الصيرفي في سنة ٧٩٠هـ / ١٣٨٨م، عن وفيات تلك السنة أنه مات خمسة أنفس في شهر واحد من أصحاب النغم والآلة لم يخلف نظيرهم وهم علم الدين سليمان المادح

٣٥. البقل، الطرب، ص ١٠٤-١٠٥.

٣٦. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٤٣٥.

٣٧. الريسة تعنى القائمة على فرقة غنائية ومعها الطبالون والزامرون والراقصات والريس كذلك أيضاً وهم يعنون بذلك أنها إليها إنتهت رياضة فرقة غنائية بعينها، أنظر: محمد قنديل البقل، الطرب في العصر المملوكي، ص ٦٤، ٨٩.

٣٨. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٢٠١.

٣٩. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٢٣٨.

٤٠. محمد قنديل البقل، الطرب، ص ٩٧ - ٩٨.

٤١. محمد قنديل البقل، الطرب، ص ٢٣.

٤٢. محمد قنديل البقل، الطرب، ص ٢٣ - ٢٤.

ابن يوسف، وإبراهيم بن الجمال المغني وأخوه خليل المشيب، وعلى بن الشاطر، والمعلم إسماعيل الدحيجاني والذي أبدى أسفه الشديد لما لحق هذه الفنون من خسارة لموت هؤلاء^{٤٣} ونال الرئيس إبراهيم بن الجندي المغني^{٤٤}. وقد كان بعض السلاطين يفضل مغني على مغني آخر، ففي حوادث سنة ٨٧٠ - ٨٧١هـ / ١٤٦٥ - ١٤٦٦م، أن على بن رحاب المغني عمل سماعاً في باب الوزير في التبانة، فقامت في تلك الليلة هرجة هناك، فقتل فيها قتيل، فعندما علم السلطان بذلك رسم بنفي ابن رحاب إلى الشام فخرج وهو في الحديد وعندما وصل إلى غزة شفع فيه عند السلطان القاضي أبو الفضل بن جلود، كاتب المماليك فرسم بعودته إلى مصر فعاد وكان السلطان يميز إبراهيم بن الجندي المغني على على بن رحاب في الغناء^{٤٥}.

وعلى الرغم من وجود المغنيين الرجال والنساء إلا أن السلاطين كانوا يؤثرون المغنية على المغني ولم يكن السلاطين فقط بل الأمراء والناس جميعاً وكأنهم كانوا متأثرين بقول الثعالبي في كتابه «تحفة الأرواح وموائد السرور والأفراح» أن غناء الجوارى ذوات الحُسن والدلال له موقع أحسن من موقع غناء الرجال وإن كان أجود منه ويبدو أن الناس قد آمنوا بمقولة الأصفهاني بأن «نعيم الدنيا أن تسمع الغناء من فم تشتهي تقييله» حيث أن السامع لاشك مجذوب في سماعه للجوارى بشيئين هما حسن الصوت بالإضافة إلى الجمال وحسن الهيئة، وهذا يوضح لنا ما كان لهؤلاء الجوارى المغنيات والعازفات من حظوة لدى السلاطين المماليك أولاً ثم أمرائهم ثانياً ثم عامة الناس من بعدهم، فالناس على دين ملوكهم^{٤٦}.

ومما سبق يتبين لنا أن العصر المملوكي لم يقتصر فقط على وجود بل شهرة المغنيات النساء فقط بل نال الرجال حظاً وافراً من الشهرة مثلهم مثل النساء إن لم يكن تفضيل العنصر النسائي على العنصر الرجالي في الغناء كما سبق أن ذكرنا وذلك لحسن أصواتهن وجمال أشكالهن فأتين الحياة من أوسع أبوابها وكانت لهن تلك المنزلة التي فضلتهن على المغنيين، فإليهن وحدهن كان التطريب في الأفراح وفي الحفلات وفي الحروب ثم في المآتم^{٤٧}.

لغة الغناء

كانت أغاني الناس حضارية في العصر المملوكي، وكانت لهم أيضاً موسيقى حضارية ممتزجة بأصول عربية وفارسية وتركية، أعنى تلك الأغاني العربية الأولى التي إنضاف إليها مع الزمن ما جد عن الأتراك، فنحن نعلم أن الأغاني العربية الأولى تضرب بأصول عريقة في الفارسية، ونقل المؤرخون للموسيقا ضربها وأوزانها وأسماء آلاتها إلى العربية من الفارسية، وإمتد هذا إلى أن كان الإختلاط بالأتراك الذين نقل عنهم فيما نقل أصوات تركية وضروب تركية وإيقاع تركي.

٤٣. ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص ١٦٩.

٤٤. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ٤٠٦.

٤٥. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ٤٤١.

٤٦. محمد قنديل، الطرب، ص ١٠٠.

٤٧. محمد قنديل، الطرب، ص ٧٨.

ولقد شهد العصر المملوكي هذا الضرب من الغناء الذي هو مزيج بين عربي وفارسي وتركي، هذا النمط السائد في العصر المملوكي الذي كان يسود الحفلات الرسمية، ولكن لم يكن معنى ذلك أن الناس في العصر المملوكي كانوا جامدين على الإستماع إلى هذا اللون الغنائي الرسمي العربي الفارسي التركي، بل لقد كانت لهم مشاركة في الأغاني الشعبية والبدوية التي كانت تجيدها وتؤديها جوقات المحبطين، فجوقات المحبطين كانت متخصصة في الأداء الشعبي البدوي، وهو اداء فيه التزام بموروث لا يعدل عنه^{٤٨} كما سوف نوضح في الصفحات التالية .

طائفة المغاني وعلاقتها بضامنة المغاني

تعريف الطائفة

يمكن تعريف الطوائف بأنها هيئات مستقلة ذات تنظيم خاص وكيان معين، ينضم إليها في أغلب الأحوال كل مشغل بالصناعة أو التجارة أو بأى عمل آخر، فالطائفة تضم أصحاب الحرفة الواحدة أو المهنة الواحدة وكان لكل طائفة دستورها غير المكتوب من عادات وتقاليدها موروث^{٤٩}.

وعرف ابن منظور في كتابه لسان العرب بأن الطائفة هي الجماعة من الناس وتقع على الواحد كأنه أراد نفساً طائفة، وسئل إسحق بن راهوبه عنه فقال الطائفة دون الألف ويبلغ هذا الأمر إلى أن يكون عدد المتمسكين بما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ألفاً يسلى بذلك أن لا يعجبهم كثرة أهل الباطل^{٥٠} كما ورد أيضاً أن الطائفة من الشيء واقعة منه، وقوله تعالى وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين، قال ابن عباس رضى الله عنهما الواحد فما فوقه^{٥١} وطالما نتحدث عن طائفة المغاني فيجدد بنا أن نذكر أنه لم يظهر للمرأة أثر في تنظيمات طوائف الحرف، ولم نعر على ذكر لهن في الطقوس والحفلات الطائفية ولم نجد لهن طوائف اللهم إلا العاهرات كما ذكره /د/ حسين رمضان^{٥٢}.

٤٨ . محمد قنديل، الطرب، ص ١٢٤-١٢٥ .

٤٩ . ليلي عبد اللطيف، دراسات في تاريخ ومؤرخي مصر والشام، ص ٥٨ .

٥٠ . ابن منظور، لسان العرب، ج ٢٠، ص ١٣٠-١٣١ .

٥١ . الرازي، مختار الصحاح، ص ٤٠٠ .

٥٢ . حسين مصطفى حسين، طوائف الحرفيين ودورهم والاجتماعي في مصر، ص ٢١٦ .

وقد احترفت النساء الموسيقى والغناء^{٥٣} والرقص^{٥٤} كما احترفت بعضهن الدعارة^{٥٥} البغاء^{٥٦} وكانت تشرف عليهن سيدة تعرف بضامنة المغاني^{٥٧} تتولى جمع الضرائب منهن كما كانت تجمعها أيضاً من حرف نسائية أخرى مختلفة بل ومتناقضة مع هذه الحرف، إذ كانت أيضاً مسؤولة عن الواعظات والقارئات والندابات^{٥٨}.

يمكن القول بأن حرفة طائفة المغاني لم يكن لها نقيب لأنه يجب أن يكون لزاماً على كل من يريد أن يتولى النقابة أن يجتهد في طلب العلم وأن يكون عارفاً بصناعته ومن ذوى العدالة.

وقد كان دور ضامنة المغاني أن يتبع أخبار الجوارى اللاتي يحسن ويُجِدْنَ الغناء والطيبات صوتاً ثم يتولين بالتدريب والتثقيف ولا يبخلن عليهن بأن يسلمهن إلى عوادين، كما فعلت ضامنة المغاني بالجارية «إتفاق» حين سلمتها إلى الأستاذ عبد علي العواد، والشئ الذي يجب ألا يفوتنا هنا أن نذكر أن ضامانات المغاني هؤلاء لم يكن في القاهرة وحدها بل كن في غير القاهرة في بلاد غير معروفة أو مشهورة كمدينة بلبس، وهذا يعني ما كان للجوارى المغنيات من شأن في ذلك العهد^{٥٩}، والذي يجب ان نذكره هنا أن ثمة معلمات ومعلمون يقمن ويقومون على تدريب

٥٣. حسن الباشا، أثر المرأة في فنون القاهرة، ص ١٧١.

٥٤. الجبرتي، عجائب الآثار، ج٣، ص ٧، ١٧٠.

٥٥. قاسم عبده قاسم، دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي، ص ١٣٩ - ١٤٠؛ قاسم عبده قاسم، أسواق مصر في عصر سلاطين المماليك، ص ١٣ - ١٤؛ ابن بطوطة، الرحلة، ج١، ص ٥٣؛ ابن الحاج، المدخل، ج١، ص ٢٦٧ - ٢٧٠، ج٢، ص ١٤١ - ١٤٢؛ زكي مبارك، التصوف، ج١، ص ٣٤٢. لمزيد من التفاصيل عن مهنة الدعارة أو البغاء والبغايا وملابسهن وأماكن تواجدهن. أنظر: المقرئ، السلوك، ج٢، ص ٢، ٤٩٢، ج٣، ص ١، ٢٦٦؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص ١، ٤٨٦، ج٢، ص ٤١؛ ابن الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، ج١، ص ١٦٨، ٢١١، ج٣، ص ١٤٤؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج١، ص ١٢٧؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩، ص ٤٧؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ١٠ - ١١، ج٥، ص ٤٧؛ المقرئ، الخطط، ج١، ص ١٤٤؛ محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص ١٠٤؛ قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص ١٥٥، ٣١٣؛ سعيد عاشور، المجتمع المصري عصر سلاطين المماليك، ص ١١٧؛ أحمد الصاوي، أوراق من تاريخ عمل المرأة المصرية، ص ٦٦ - ٦٧. ولمزيد من التفاصيل عن البغاء، أنظر: سامية علي مصيلحي، البغاء في مصر في العصر المملوكي، ص ١٠٩ - ١٣٨، www.aqsaa.com.

.Dozy, supplément, p. 581; Quatremère, Histoire des sultans mamlouks, p. 36, Ashtor, A Social Economic History, p. 187.

٥٦. ظهر البغاء في مصر القديمة وظل بها حتى عهد الرومان حيث كانت المعابد تشتمل على نساء يحترفن الدعارة، وكان هذا مورداً رسمياً معترفاً به، أنظر: نجية إسحق عبد الله، فرج عبد القادر طه، سيكولوجية البغاء، ص ٤٥؛ محمد نيازي حتاتة، جرائم البغاء دراسة مقارنة، ص ١٨. ويحدثنا التاريخ عن إنتشار البغاء في بابل واليونان وفي روما على وجه الخصوص بصورة لم تعرفها غيرها من المدن القديمة، أما عند العرب في الجاهلية فكانت البغايا تقمن في بيوت خاصة وتؤدين الضرائب المفروضة عليهن، وعقب دخول العرب مصر ظل البغاء خفياً فترة من الزمن، ثم بدأ يظهر جهراً وقد فرضت عليه الضرائب، ففي عهد الفاطميين كان التقليد السائد هو إتاحة إشباع الشهوات في الأعياد فكانت البغايا تخرجن متبرجات إلى الشوارع بعرض أنفسهن على من يريد إشباع شهوته، أنظر: حسن الساعاتي، مشكلة البغاء، ص ١٧؛ نجية إسحق، فرج عبد القادر، سيكولوجية البغاء، ص ٤٦. وقد كانت هذه الفئة منبوذة من المجتمع، Beauvoir, The Second Sex, p. 288، والبغايا هم الخواطي كما كانوا يطلقون عليهم في العصر المملوكي ولعل ذلك بسبب إحترافهم الغناء في الظاهر، <http://hartaka.blogspot.com>، ولمزيد من التفاصيل عن البغاء، أنظر: سامية علي مصيلحي، البغاء في مصر في العصر المملوكي، ص ١٠٩ - ١٣٨.

٥٧. قيل أن الضامن وجمعه ضامن وضمان الملتزم (Bermier) الذي يتولى لحسابه جمع ضريبة من الضرائب أو مكس من المكوس التي يفرضها السلطان أو الأمير ويضمن في مقابل تولية ذلك مبلغاً من المال يدفعه إلى الجهة المختصة في أوقات منتظمة كل سنة، أنظر: المقرئ، الخطط، ج١، ص ٧٩. يذكر المقرئ أن الشخص المكلف بدفع الضمان كان يقيم من تحت يده رجالاً على الطرقات لرد المهاربين ويقوم للديوان في كل سنة بهال، أنظر: المقرئ، السلوك، ج٢، ص ٢، ٥٣٨.

٥٨. قاسم عبده قاسم، دراسات في تاريخ مصر، ص ١٣٩.

٥٩. محمد قنديل البقلي، الطرب، ص ٤٧.

الجوارى على الغناء، وأنه على أيدي هؤلاء نشأت كثرة من الجوارى المغنيات وحذقن الغناء وأجدن فيه، أي أن وظيفة هذه الضامنة هو شراء الجوارى المغنيات وتعلمهن الغناء والضرب بالعود^{٦٠} ونسمع أن الجوارى الحبشيات كن يتخصصن في الغناء^{٦١}.

هذا وقد كان ضمان المغاني يدر للدولة مالا كثيرا وأرباحا لا حصر لها لذلك إعترفت الدولة بالبغاء والبغايا وقررت عليه ضريبة وإعترفت بالمغاني، وقد تدخلت ضامنة المغاني هذه في كل أمور النساء الكبيرة والصغيرة، فتدخلت في الأعراس سواء السلطانية أو أعراس عامة الشعب، والمرأة التي تخضب يدها بالحناء فرضت عليها ضريبة هذا إلى جانب أن تلد وتضع مولود تفرض عليها أيضا مال مقرر، وغير ذلك من أمور مختلفة.

وقد كانت لضمانات المغاني ثروات طائلة وضخمة لا تُعد ولا تُحصى من كثرة ما سبق ذكره من جمع أموال من هنا وهناك، كما سبق أن ذكرنا والدليل على ذلك ما ذكره ابن إياس عن ضامنة المغاني والتي كانت تدعى هيفا اللذيذة، قد رافعها بعض أعدائها بأن لديها أموال كثيرة وعندما سمع السلطان الغوري ذلك سنة ٩١٨هـ / ١٥١٢م، قبض عليها وعرضت للضرب أكثر من مرة، وقرر عليها خمسة آلاف دينار^{٦٢} وقيل أن هيفا اللذيذة هذه كانت من المغنيات المقربين إلى السلطان الغوري وقد كانت رئيسة المغنيات في عصرها.

والشيء العجيب هنا أن من فعل فرحا بأغان أو نفس امرأة بغير إذن الضامنة حل به بلاء ومكر لا يوصف، وطالما أن الدولة إعترفت بكل هذا إذن فالمرجح أن يكون هناك ديوان له شاد^{٦٣} على الأقل، وأن لفظ المغاني يشتمل على كل شيء بداية بالغناء ونهاية كل شيء به عمل الفاحشة، وكل هذا كان يأتي للدولة بأموال عظيمة لا حصر لها لذلك إعترفت الدولة به وفرضت عليه الضرائب والتي كانت ضامنة المغاني وشاده هم المسؤولون عن دفع الأموال لخزينة الدولة.

دور طائفة المغاني في المناسبات المختلفة الخاصة بسلاطين المماليك والأعياد والحفلات المختلفة

شغف كثير من سلاطين المماليك بالموسيقى والغناء حتى جرت العادة أن يكون لكل سلطان أو ملك جوقة^{٦٤} من المغاني في داره، ودفع ذلك بعض السلاطين إلى تقريب أرباب الموسيقى والغناء إليه فإذا سمع بمغني أرسل في طلبه

٦٠. المقرزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص ٧١٥.

٦١. على السيد على، الجوارى، ص ١١.

٦٢. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، حوادث سنة ٩١٨هـ؛ عبد الوهاب عزام، مجالس السلطان الغوري، ص ٣٦-٣٧؛ على السيد على، الجوارى، ص ٩٥.

٦٣. استحدثت وظيفة شاد الدواوين في عصر الناصر محمد بن قلاوون، وقد إرتفع شأن شاد الدواوين وذلك في حالة عدم وجود وزير في الدولة، ومن مهام شد الدواوين تحصيل المال وصرف النفقات، وهو كان يصاحب الوزير متحدثا في استخلاص الأموال إذ قال القلقشندي عن صاحبها رفيقا للوزير متحدثا في إستخلاص الأموال. أنظر: حسن الباشا، الوظائف، ج٢، ص ٦١١؛ المقرزي، السلوك، ج٢، ص ٣١٣؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ٢٢.

٦٤. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٥٥؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص ٧٩٢؛ سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص ١٤٨. والجوقة هي المجموعة الكاملة من المغاني، قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص ٣٣٥.

وكلفه بتعليم جواريه فن الغناء^{٦٥} كما فعل الناصر محمد بن قلاوون مع المغنى كتيبة بن قرانغان^{٦٦}، وكذلك إتفاق العوادة^{٦٧} التي اشتهرت بالغناء وطلبها السلطان شعبان ومن بعده أخيه المظفر حاجي^{٦٨}، هذا وقد كان الفن الراقي وفقاً على القصور وساكنيها^{٦٩} فقد كان الرقص والغناء من الأعمال التي قامت بها الجوارى والتي تتعلق بالترف والرفاهية، وذلك لأن مجالس الدولة كانت سمة من سمات القصور الإسلامية، كما أقبل عليها الأمراء وكبار رجال الدولة، وقد ظهر هذا منذ القدم فقد شجع الطولونيون الغناء فكان خماروية بن أحمد بن طولون يجلس للشرب والمغنيات من حوله كما بنى في داره مجلساً عرف ببيت الذهب رسم على حيطانه صور بعض المغنيات، وكان الإخشيدون والفاطيون أيضاً مولعين بسماع الغناء والرقص^{٧٠}، وأقبل الناس حكماً ومحكومين على فنون الطرب واللهو والملاهي وتمتع الحياة ولذاتها ولم يدخر سلاطين المماليك وأمراءهم بصفتهم الطبقة الحاكمة وسعاً في الإقبال على المطربين والمطربات وتشيد المغنيات التي هي قاعات خصصت لسماع الغناء والطرب والإستمتاع بمشاهدة الرقص وسماع الموسيقى^{٧١} باعتبارهم قد ورثوا محبة الفنون والغناء عن أسلافهم الفاطميين والأيوبيين^{٧٢}.

كما كان الغناء والشراب من أشهى ضروب اللهو في حياة المماليك وكانت دنياهم تموج بالطرب والعتاء وإقتناص اللذائذ والشهوات والإسراف فيها ليلاً ونهاراً، ولقد كان لهذا التيار الجارف أثره في نفوسهم، حيث أصبح الغناء ضرورة من ضرورات حياتهم لا يعيشون إلا به، ولا يرون الحياة سهلة جميلة إلا على ضرب الأعواد ونقر الدفوف وترنيم الأشعار وألحان الغناء، ولقد بلغ من إمتزاج الغناء بنفوسهم أن كان بعضهم يتعشقه، ولا يطيق العيش بدونه^{٧٣}، وهنا يجب أن نشير إلى أن المماليك في حبهم للغناء وإقبالهم عليه لم يكونوا دخلاء ولا مرتجلين بل كان منهم من يتقن العزف على الآلات الموسيقية، ويفهم الغناء فهماً حسناً ويقرب أربابه^{٧٤}.

ومن المناسبات الخاصة التي لعبت فيها المغاني دوراً هاماً عصر سلاطين المماليك هي حفلات الختان ففي عام ٧٧٧هـ/ ١٣٧٥م، ختن السلطان الأشرف شعبان بن حسين وعمل فرحاً عظيماً أنفق فيه من الأموال ما لا يحصى وظهر فيه من الفواحش والقباح ما لا مزيد عليه^{٧٥}، ويستمر الإحتفال بالختان لمدة سبعة أيام وفي طرقات القاهرة

٦٥. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٣، ص ٢٦٥.

٦٦. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٣، ص ٢٦٥، ترجمة: كتيبة بن قرانغان.

٦٧. هي جارية سوداء إشتهرت ضامنة المغاني بدون الأربعمئة درهم من ضامنة المغاني بمدينة بليس وعلمتها الضرب بالعود على الأستاذ عبد الجواد على العواد فمهرت فيه وكانت حسنة الصوت فقدمتها لبيت السلطان الملك الصالح إسماعيل، أنظر: بن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص ١٢٠؛ محمد بن حسين بن عقيل، المختار المصون من اعلام القرون، ص ٤.

٦٨. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص ١٢٠.

٦٩. قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص ٣٣٥.

٧٠. المقرئ، الخطط، ج١، ص ٣١٦ - ٣١٧؛ محمد جمال الدين سرور، تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، ص ١٩٠؛ سيدة كاشف، مصر في عهد الإخشيديين، ص ٢٧٥؛ نريان عبد الكريم، المرأة في العصر الفاطمي، ص ١١٣.

٧١. محمد قنديل البقلى، الطرب، ص ٤٣ - ٤٤؛ على السيد على، الجوارى، ص ٨٠.

٧٢. محمد زغلول سلام، الأدب في العصر المملوكى، ج١، ص ٢٨١ - ٢٨٥؛ على السيد على، الجوارى، ص ٨٠.

٧٣. النويرى، نهاية الآرب، ج٤، ص ٣٥٢؛ على السيد على، الجوارى، ص ٨٠.

٧٤. على السيد على، الجوارى، ص ٨١.

٧٥. ابن حجر، أنباء الغمر، ج١، ص ١٠٣.

وأزفتها كانوا يحشدون لتلك الاحتفالات المغنون في الأسواق والمغنيات في البيوت^{٧٦}، يدعو السلاطين المغنيين لحضور حفلات ختان أبنائهم كما حدث عام ٨٨٠هـ / ١٤٧٥م، فقد ختن الملك المنصور عثمان بن الظاهر جقمق أولاده بدمياط، وتوجه المغني ابن رحاب ومشى في الزفة وكان مهماً حافلاً^{٧٧}، وقد طلب السلطان المؤيد أحمد بن الأشرف إينال عام ٨٨٧هـ / ١٤٨٢م، في ختان ابنه المغني على بن رحاب ليحضر الزفة^{٧٨}.

كما شارك جميع سائر مغاني البلد عام ٨٩٥هـ / ١٤٨٩م في الاحتفال بختان ولد السلطان المقر الناصر محمد الذي تسلطن بعده وكان عمره يومئذ نحواً من سبع سنين وأشهر وكان الإحتفال بالقلعة سبعة أيام متوالية، فاجتمع سائر مغاني البلد وأمر السلطان بأن تزين القاهرة فزينت زينة حافلة^{٧٩}، وعلي الجانب الآخر نجد أن السلطان الظاهر بيبرس في ختان ابنه الأمير نجم الدين خضر ابن السلطان، وعدة من أولاد الأمراء إتخذ موقفاً غريباً، فلم يعطى المغاني وأرباب الملاهي أى شيء، ولم يحضروا ختان ابنه، ولم تنفق لهم طوال أيامه سلعة، ولا نالهم منه رزق البتة^{٨٠}.

وتتوالي المناسبات المختلفة التي شجع فيها سلاطين المماليك على حضور المغاني وإغداقهم عليهن^{٨١} فأفراح السلاطين وأبناءهم كانت مهرجناً العادة فيها إستحضار المغنيات وضاربات الدفوف، كعرس السعيد بركة خان بن الظاهر بيبرس^{٨٢}، وقد ظهر دور المغاني في حفلات الزواج والأعراس التي كانت تمتد ليالي وليالي وقد تمكث شهراً، وفي كل ليلة كان يعرض غير ما يعرض من الليالي الأخرى، فإذا إمتدت تلك الحفلات شهراً مثلاً رأيت في كل ليلة من ليالي^{٨٣} ذلك الشهر جديداً، ولقد كان الغناء هو أهم ما تعمر به تلك الليالي ومعه الزمر والطبل في الأعراس الخاصة بجميع سلاطين المماليك، ففي عام ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م، كان عرس أمير على بن أرغون النائب على ابنة الناصر محمد بن قلاوون، وكان فيه ثمان جوق من مغاني القاهرة، وخص كل جوقة من جوق القاهرة بخمسمائة دينار ومائة وخمسون تفصيلة حرير^{٨٤}، وأحيت طائفة المغاني أيضاً عرس الأمير قوصون على ابنة السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وقيل أن المغاني حَصَلْ لهن من النقوط في هذا العرس عشرة آلاف ديناراً مصرية^{٨٥}، ويعتبر عرس الأمير أنوك سنة ٧٣٢هـ / ١٣٣١م، مصدر سعادة لطائفة المغاني، فقد أمر السلطان الناصر محمد بإحضار جميع من بالقاهرة ومصر من أرباب الملاهي إلى الدور السلطانية^{٨٦} وكانت المغاني تضرب بالدفوف، وأنواع المال من الذهب

٧٦. محمد قنديل البقل، الطرب، ص ٣٦.

٧٧. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ١١٥.

٧٨. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ١٩٣.

٧٩. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص ٥٢ - ٥٣.

٨٠. المقریزی، السلوك، ج١، ق٢، ص ٦١٢.

٨١. سعيد عاشور، المجتمع المصري عصر المماليك، ص ١١٦.

٨٢. ابن حجر، إنباء الغمر، ج١، ص ٥٦، ج٢، ص ٣٧٦؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٧، ص ١٤٨؛ المقریزی، السلوك، ج١، ق٢، ص ٦٢٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص ٢٧٠؛ المقریزی، الخطط، ج٢، ص ١١١؛ أبو الفدا، تاريخ أبو الفدا، ص ٧١؛ القلقشندي، صح الأعشى، ج١٤، ص ٣٤١ - ٣٤٤.

٨٣. محمد قنديل البقل، الطرب، ص ٣٥.

٨٤. المقریزی، السلوك، ج٢، ق١، ص ٢٤٩.

٨٥. المقریزی، السلوك، ج٢، ق١، ص ٢٨٨.

٨٦. المقریزی، السلوك، ج٢، ق٢، ص ٣٤٣ - ٣٤٦؛ سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص ١٣٢.

والفضة وشقق الحرير تلقي عليهن فحصل لهن ما يجلب وصفه^{٨٧} وإستمر المهم سبعة أيام بلياليها^{٨٨}، حتى مهر العريس لعروسه وتقديمه لها كان للمغاني دوراً فيه، فقد حُمل مهر الأمير بكتمر جلق نائب الشام إلى بنت السلطان الناصر فرج بن برقوق بزفة ورقص وزغاريد من المغاني حتى دخل دار السعادة، ثم عقد العقد بحضرة السلطان والأمراء والقضاة^{٨٩}.

هكذا شجع سلاطين المماليك حضور طوائف المغاني في أفراحهم وأفراح أبناءهم وكانوا ينفقون بل يبعثون الأموال والذهب والخلع المختلفة على هؤلاء المغاني، فعندما تزوج السلطان الملك الكامل سيف الدين شعبان بن الناصر محمد بن قلاوون ببنت الأمير طقزدمر عمل لها عرساً مهماً لمدة سبعة أيام بلياليها إجتمع فيه نساء الأمراء جميعاً وكانت فيه عدة جوق من المغاني، حصل لهن من الذهب والفضة، وأنواع الحرير شيء يجلب وصفه، وبلغ نصيب ضامنة المغاني بمفردها ثمانية ألف درهم سوى بقية المغاني^{٩٠}.

ظهر أيضاً دور المغاني عندما كان السلطان يلعب الكرة ويفوز في لعبه فقد كان يقيم حفلاً بوليمة تحضرة المغاني من كل مكان، ففي عام ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م في عهد المظفر حاجي ركب السلطان المظفر حاجي مع أمرائه الخاصكية^{٩١}، ونزل إلى الميدان، ولعب بالكرة فغلب الأمير ملكتمر الحجازي في الكرة فلزم الحجازي عملاً وليمة في سرياقوس، ذبح فيها من الغنم حوالي خمسمائة رأس، وعشرة أفراس، وعمل أحواضاً مملوءة بالسكر المُذاب، وجمع سائر أرباب الملاهي، وحضرها السلطان والأمراء^{٩٢} وكان للمغاني دوراً عظيماً في هذا اليوم.

بالإضافة إلى ذلك فقد إنتهز بعض سلاطين المماليك فرصة الخروج إلى الصيد للتححرر من قيود الملك، فارتكب بعضهم في هذه المناسبة كثيراً من المعاصي وتجاهروا بالفواحش، والدليل على ذلك أن السلطان شعبان إصطحب معه عند خروجه للصيد عدداً من الغواني وجرار الخمر وأرباب الملاهي والمغاني^{٩٣} إلى جانب أن السلطان الناصر فرج بن برقوق كان عند خروجه للصيد يجمع أرباب الملاهي والمغاني ويأخذهم معه في رحلته للصيد، وقد بلغ عدد المغاني في عهده حوالي جوقة^{٩٤} كما خصص يوماً الأحد والأربعاء لشرب الخمر^{٩٥}.

والشيء الذي يثير الدهشة أن هناك من السلاطين من سُجن وإصطحب في سجنه أرباب اللهو والمغاني، فالملك المنصور محمد بن السلطان حاجي ٧٦٢هـ / ١٣٦٠م، كان محباً للهو والطرب، راضياً بما هو فيه من العيش الطيب،

٨٧. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٩، ص ١٠١ - ١٠٢؛ المقرئ، السلوك، ج٢، ق ٢، ص ٣٤٦.

٨٨. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٩، ص ١٠١؛ سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص ١٣٢.

٨٩. المقرئ، السلوك، ج٤، ق ١، ص ١٠٧؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ص ٨٨ - ٨٩.

٩٠. المقرئ، السلوك، ج٢، ق ٣، ص ٦٩٠ - ٦٩١.

٩١. لفظ مملوكي مفردة الخاصكي، وهم نوع من المماليك السلطانية يختارهم السلطان من المماليك الأجلاب الذين دخلوا في خدمته صغاراً ويجعلهم في حرسه الخاص، وجعل هذا الاسم خاصاً بهم لأنهم يحضرون على السلطان في أوقات خلواته وفراغه وينالون من ذلك ما لا يناله أكابر المتقدمين، ويحضرون في طرفي كل النهار في خدمته، ويركبون مركوب السلطان ليلاً ونهاراً، ويتوجهون في المهمات الشريفة ويتأقنون في مركبهم وملبوسهم، انظر: محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص ١٦٦.

٩٢. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص ١٥٥.

٩٣. المقرئ، السلوك، ج٢، ص ٧٤٥، ج٤، ص ٤٦ - ٤٧؛ سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص ٨١.

٩٤. سهام أبو زيد، الحسبة، ص ١٩٥.

٩٥. ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص ١٠٤ - ١٠٥، ج٢، ص ٤١.

وكان له مغانٌ عدة جوقة كاملة، زيادة على عشر جوار يعرفن بمغاني المنصور^{٩٦}، وعندما سُجن بعد خلعه من السلطنة عام ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م، كان يُسلى نفسه في سجنه بالقلعة، بالشرب وسماع المغاني ومشاهدة الملاح، فكان لا يصحو من السكر ليلاً ونهاراً^{٩٧} وعندما مات الملك المنصور إستمرت جواريه المغاني يعملون الأفراح للناس، وكانوا يعرفون بجوقة المنصور^{٩٨}.

وكان السلطان الناصر حسن يحب اللهو والطرب ويميل إلى شرب الراح، وحب القيان من النساء الملاح، وكان يميل إلى سماع الآلات ويقرب المغاني ويحب أرباب الفن من المغاني قاطبة^{٩٩}، وإصطحب سلاطين المماليك المغاني معهم في الخروج إلى النزهة والرحلات المختلفة، فعندما توجه السلطان الناصر حسن إلى كوم برا^{١٠٠} طابت له الإقامة هناك، فأقام بها نحو ثلاثة أشهر، وكان بالقاهرة في هذا الوقت أوحام وبواء مع أمراض شديدة بالناس، فاستمر مقيماً هناك وهو في أرغد عيش، وكان في كل ليلة يحضر عنده مغاني عرب، ويحرق إحراقات نفظ وكانت الأمراء تتوجه إلى هناك وتعطى الخدمة للسلطان في كل يوم إثنين وخميس^{١٠١}.

أضف إلى ما سبق أن السلطان المؤيد شيخ ٨٢١هـ/ ١٤١٨م، كان يحب الموسيقى، وينظم الشعر والفن وله أشياء كثيرة من نظمه دائرة بين المغاني، وكان يقرب المغاني وأرباب الفن^{١٠٢} فعندما توجه السلطان المؤيد شيخ إلى بيت الأتابكي أَلطنبغا القرمشي ليزوره عندما كان مريضاً، فخرج من عنده، وتوجه إلى بيت جقمق الدوادار فأقام عنده إلى آخر النهار وحضر عنده المغاني والموسيقين، إنشرح السلطان في ذلك اليوم^{١٠٣} فقد كان يُحب اللهو والطرب ويقضى غالب أيامه في اللهو والنزهة والطرب^{١٠٤}.

ويحدثنا عبد الوهاب عزام في مؤلفه مجالس السلطان الغورى عن الشريفى مترجم الشاهنامه عن مدى عناية السلطان قانصوه الغورى بالموسيقى وإستصحابه كبار الموسيقين وأن له موشحات وألحان كان أرباب المغاني يتغنون بها طوال عصره.

ويمكن القول أن العصر المملوكى قد سادته موجة من إقبال السلاطين في شغف ونهم على السماع بمختلف ضروب غناء وموسيقى، فالغناء كان صورة واضحة لحياة الناس الاجتماعية والسياسية والعقلية في ذلك العصر^{١٠٥}.

٩٦. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج١، ص٨.

٩٧. ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٥٩٣.

٩٨. ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٥٩٣.

٩٩. ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٥٧٩.

١٠٠. كوم برا: بفتح أوله ويروى بالضم وأصله الرمل المشرف، وقال ابن شمبل: الكومة تراب مجتمع طولة في الساء ذراعان ويكون من الحجارة والرمل والجمع كوم، وهو إسم لمواضع بمصر تضاف إلى أربابها أو إلى شيء عرفت به، أنظر: ياقوت الحموى، معجم البلدان، مح٤، ص٤٩٥، وعند الرجوع إلى محمد رمزى، القاموس الجغرافى، أحال كوم برا إلى كومبره بمركز إمبابة. أنظر: محمد رمزى، القاموس الجغرافى للبلد المصرية، ق١، البلاد المندرسة.

١٠١. ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٥٧٣.

١٠٢. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج١، ص١١٠؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٣٧؛ محمد قنديل البقل، الطرب في العصر المملوكى، ص٤٨-٤٩.

١٠٣. ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٣٧.

١٠٤. ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، ج١، ص٣٠٦؛ محمد قنديل البقل، الطرب في العصر المملوكى، ص٨٢.

١٠٥. عبد الوهاب عزام، مجالس السلطان الغورى، ص١٧ - ٣٨؛ على السيد على، الجوارى، ص٨٢.

وقد جرت العادة أيضاً أن يحتفل بشفاء السلطان إذا ألم به مرض ثم عوفى من هذا المرض، فتستمر الأفراح سبعة أيام بالقلعة إلى جانب سائر بيوت الأمراء، وكذلك تُضرب^{١٠٦} البشائر والكوسات ويجتمع أصحاب الملاهي بأمر السلطان بالقلعة^{١٠٧}، فعندما كان السلطان يسمع بمرض زوجته كان يزورها باستمرار، وعندما يتم شفاؤها يحتفل بذلك احتفالاً عظيماً ويتردد عليها أعيان الدولة من الأمراء والقضاة، والأكابر للتهنئة ويجتمع عند بابها أرباب الطبول والملاهي والمغاني أيضاً، ثم بعد ذلك تعود خوند^{١٠٨} إلى بيتها بالقلعة في موكب رائع وحولها المشاعل والشموع والفوانيس^{١٠٩}، وكانت تزين الحوانيت والأسواق في حالات شفاء السلطان من أحد الأمراض كما حدث سنة ٦٩٧هـ / ١٢٩٧م بعد شفاء السلطان حسام الدين لاجين من كسر يده نحو الشهرين ونزل إلى الميدان، ودقت البشائر^{١١٠} وحضرت المغاني من كل مكان، وعندما عوفى السلطان الناصر محمد بن قلاوون من مرضه عام ٧٣٠هـ / ١٣٢٩م، زُينت القاهرة ومصر وتفاخر الناس في الزينة بحيث لم تعهد زينة مثلها وإستمرت أسبوعاً تفنن أهل البلاد فيها بأنواع الترف، وقد إجتمع المغاني وأرباب الملاهي في أماكن مختلفة ومعهم جميع آلات المغنى^{١١١}.

وأيضاً لعبت طائفة المغاني دوراً آخر عندما سُفِي السلطان الناصر محمد من مرضه عام ٧٤١هـ / ١٣٤٠م، فقد جُمعت أرباب الملاهي بالقلعة، وحصل لأرباب الملاهي ما لا ينحصر^{١١٢} وقد كان للمغاني دوراً كبيراً عند مرض السلطان الأشرف قايتباي وشفائه عامي ٨٧٦هـ - ٨٩١هـ / ١٤٧١ - ١٤٨٦م، ففي عام ٨٧٦هـ / ١٤٧١م، سُفِي السلطان الأشرف قايتباي من مرضه فاجتمع بحريم السلطان من المغاني والفرح ما يليق به^{١١٣}.

وفي عام ٨٩١هـ / ١٤٨٦م، سُفِي السلطان الأشرف قايتباي من مرضه فاصطفت المغاني له عند رجوعه من الجامع ودقت البشائر وزينت القاهرة^{١١٤} وكان للمغاني دوراً كبيراً في الزفة وإستقبال السلطان عند شفائه من مرضه.

وعلي الرغم من أن الحج تكفير لبني آدم عن ذنوبهم، لكن ذلك لم يمنع سلاطين المماليك من إستقبال طوائف المغاني لهم وأرباب الطبول والملاهي عند عودتهم من الحج، ففي عام ٧٢٠هـ / ١٣٢٠م، عاد السلطان الناصر محمد بن قلاوون بعد قضاء مناسك الحج، وخرج الأمراء للقاءه ببركة الحجاج، وركب السلطان بعد إنقضاء السماط في موكب عظيم وقد خرج الناس لرؤيته حتى طلع القلعة، فكان يوماً مشهوداً زينت فيه القاهرة ومصر زينة عظيمة لقدومة وكثرت التهاني، وأرباب الملاهي من الطبول والزمور^{١١٥}، وفي الحج أيضاً كانت تقام الأفراح والولائم وضرب

١٠٦. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٩، ص ٦٤.

١٠٧. سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص ٢١٥.

١٠٨. كان يطلق على الملكات والأميرات وهو خاص بزوجات السلاطين، انظر: خليل بن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص ١٢١، وخوند أصلها خلدواند وهي لفظة فارسية تعني السيدة أو السيدة وتفيد الاحترام والتبجيل، أنظر: السيد أدي شير، الألفاظ المعربة، ص ٥.

١٠٩. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ٤٩؛ سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص ١٤٤.

١١٠. المقرئى، السلوك، ج١، ق ٣، ص ٨٣١ - ٨٣٢.

١١١. المقرئى، السلوك، ج٢، ق ٢، ص ٣٤٦.

١١٢. المقرئى، السلوك، ج٢، ق ٢، ص ٥٢١.

١١٣. ابن الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، ج٢، ص ٣٣١.

١١٤. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٢٢٩.

١١٥. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٩، ص ٦١.

بالطبول والأبواق والمزامير ويسمّون ذلك تهنئة الحاج^{١١٦}، وفي عام ٧٧٨هـ / ١٣٧٦م، عندما أراد الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون السفر للحج جهز معه كل شيء وحمل معه عدة من أرباب الملاهي وأنكر الناس ذلك من أجل أنه غير لائق بالحج^{١١٧}.

وللمغاني دوراً كبيراً عند ضرب نقود جديدة فحينما كان السلاطين يقومون بضرب نقوداً جديدة كانت المغاني تقوم بإشهار ذلك بين الناس حينما تزف تلك النقود، ففي عام ٨١٨هـ / ١٤١٥م في عهد المؤيد شيخ حُمِلت الدراهم المؤيدية والذهب المؤيدي من دار الضرب بالقاهرة إلى القلعة وُزفت بالمغاني من دار الضرب إلى القلعة^{١١٨} وقد كان للمغاني دوراً كبيراً في نشر خبر ضرب الدراهم والدنانير المؤيدية عندما زفتها وسبب ذلك أنه عندما جاء السلطان المؤيد شيخ من دمشق وكثرت الدراهم النوروزية والبندقية^{١١٩} بأيدي الناس في القاهرة، قام السلطان بضرب دراهم مؤيدية، وقد أشيع بين الناس بأن السلطان سبك دنانير كثيرة من الناصرية، وقام بضرب دنانير مؤيدية، فتوقف الناس في أخذ الدينار الناصري إلى أن استدعى السلطان قضاة القضاة وكبار الصيارفة إلى بين يديه بالإسطل من القلعة وتحدث معهم في إبطال الدنانير الناصرية، فذكر له قاضي القضاة جلال الدين البلقيني أن في هذا إتلاف كثير من الأموال، فلم يعجب السلطان ذلك، ورد النظر في النقود إليه^{١٢٠}، وعندما ضربت الدنانير والدراهم زفتها المغاني، وكان لها دوراً كبيراً في نشر ما تردد من ضرب الدراهم والدنانير.

واختلف دور المغنيات في أحزان بل وفاة السلاطين عن دورهن في أفراحهم فقد كانوا يعدون جنازات ضخمة تتقدمها طوائف ممن يحترفن القراءات المختلفة يرتلونها بصوت واحد وبنغمة واحدة^{١٢١} وكانوا يسمونهم الفقراء الصوفية^{١٢٢}، هذا إلى جانب من يقمن بالتدب والطمم والضرب بالدفوف، فقد كانت المآتم تقام بالمغاني والندابات^{١٢٣} وهذا ظهر واضحاً عندما مات الملك الصالح إسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون، عُمل للملك الصالح العزاء بالديار المصرية أياماً كثيرة ودارت الجوارى والمغنيات بالملاهي يضربن بالدفوف، يبكين ويلطمن، وكثر حزن الناس عليه حزناً عظيماً^{١٢٤}، وعندما توفي الأمير خليل ابن الملك الناصر فرج بن برقوق عام ٨٥٨هـ / ١٤٥٤م، ودفن في تربة جده الظاهر برقوق، وأظهرت عليه أخته خوند شقرا غاية الحزن، وعملت له نعيًا بالمغاني تزف بالطارات، سبعة

١١٦. ابن الحاج، المدخل، ج٤، ص٢١٦.

١١٧. المقرئ، السلوك، ج٣، ق١، ص٢٧٣.

١١٨. المقرئ، السلوك، ج٤، ق١، ص٣٠٨.

١١٩. في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون قرر مجلس شيوخ البندقية ضرب عملة ذهبية خالصة أطلق عليها في أوربا لفظ دوكات (Ducat) بينما عرفت في الشرق باسم بندي أو إفرتي وقد وصفها مؤرخو مصر المملوكية باسم المشخصة نسبة إلى صور القديسين المنقوشة على أحد وجهيها، وإنتشرت دوكات البنادقة في الشرق العربي وخاصة في مصر وذلك لثبات وزنها ودقتها وإستدارتها وعيارها المرتفع مقابل الدنانير المملوكية التي لم يكن لها وزن أو عيار ثابت. المقرئ، السلوك، ج٤، ق١، ص٣٠٦ - ٣٠٧؛ www.landcivi.com.

١٢٠. المقرئ، السلوك، ج٤، ق١، ص٣٠٦ - ٣٠٧.

١٢١. محمد قنديل البقل، الطرب، ص٣٦.

١٢٢. أطلق الصوفية علي أنفسهم إسم الفقراء، وذلك لأن الفقر شعار الصالحين، فهم جماعات عرفوا في ذلك العصر، وأطلق عليهم إسم الفقراء للذاكرون يحضرهم أهل الميت ليذكروا أمام الجنازة، كل جماعة منهم لها صوت ونغم خاص، ويستمرون علي ذلك حتي تصل الجنازة إلي المسجد للصلاة علي الميت، أنظر: سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص١٢٢-١٨١.

١٢٣. سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص١٢١.

١٢٤. ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٩٨.

أيام وقيل أن ذلك من النواذر^{١٢٥}، وفي عام ٩١٧هـ / ١٥١١م، توفي الأمير طراباي، وكانت جنازته مشهودة ونزل السلطان وصلّى عليه في سبيل المؤمنين، ودقت عليه زوجته بالطارات مع المغاني في العزاء^{١٢٦}.

ولطائفة المغاني أيضاً دوراً هاماً عند ولادة أبناء السلاطين، فقد كانت الأفراح تستمر لمدة كبيرة، وتحضر المغنيات من كل مكان ويكسيون أموالاً ففي عام ٧٣٨هـ / ١٣٣٧م، وُلد للسلطان الناصر محمد بن قلاوون ولد هو ابنه من بنت الأمير تنكز نائب الشام فعمل لها الفرح لمدة أسبوع، فحصل للمغاني شيء كثير، حتى أن مغنيات القاهرة جاء نصيب كل واحدة منهن عشرة آلاف درهم هذا إلى جانب إعطائهم التفاصيل الحرير والمقانع^{١٢٧} المزركشة^{١٢٨}.

ويظهر دور المغنيات أيضاً عند عودة السلطان منتصراً من الحرب، ففي هذه الحالة يسبق أحد الأمراء بالبشارة وعندئذ تصدر الأوامر بإحضار سائر مغاني العرب من أعمال مصر كلها^{١٢٩} وتجلس المغاني تدق بالدفوف^{١٣٠} وتضاء الدكاكين والحوانيت كلها بالشموع والقناديل نهاراً وليلاً^{١٣١}، فعلى سبيل المثال لا الحصر، الإحتفال بقدم الجيش الذي أرسله السلطان الأشرف قايتباي للقضاء على الفتن التي أثارها أحد زعماء التركمان المقيمين على الأطراف الشمالية لدولة سلاطين المماليك في بلاد الشام والتي تزعمها أحد زعماء هذه القبائل التركمانية ويُدعى شاه سوار، ففي عام ٨٧٧هـ / ١٤٧٢م، دخل الأمير يشبك الدوادار الذي كان قد خرج بجيشه للقضاء على ذلك الثائر وأمامه الأمراء الذين كانوا معه في التجريدة وإصطفت الناس على الدكاكين للفرجة على شاه سوار المقبوض عليه، وزفته المغاني من باب النصر إلى سلم المدرج^{١٣٢}، وفي عام ٦٩٨هـ / ١٢٩٨م، كُتب بإحضار سائر مغاني العرب بأعمال الديار المصرية كلها وذلك لمجئ السلطان الناصر محمد بن قلاوون منتصراً من الحرب، وسار السلطان الملك الناصر بعساكره وأمرائه حتى وصل القاهرة ودخلها^{١٣٣} فاستقبلته المغاني بالطبول والغناء والفرح والسرور.

ولعبت المغنيات دوراً هاماً عند تولية السلطان للحكم عندما كان السلطان يتولى السلطنة فكانت تقام الزينات وتُضرب الكوسات، وتُصطف له المغاني من النساء في الدكاكين^{١٣٤} فقد كان هذا الحفل يضم موكباً ضخماً من فئات المغنيين فتسير كل فئة بلباسها الخاص ومظهرها العام ومن بينهم السلطان المعين للحكم وقد لبس أفخر الثياب ومن حوله المغنون والمنشدون والراقصون والزامرون^{١٣٥} فعندما حضر السلطان الناصر محمد بن قلاوون كانت

١٢٥. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ٣١٩.

١٢٦. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص ٢٠٨، جرت العادة أن يصيح الرجال والنساء معاً صيحة عظيمة عالية يعتبرونها وداعاً للميت ويصحبها غالباً لطم الخدود. أنظر: سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص ١٢١.

١٢٧. المقانع جمع مقنع ويقال مقنعه أيضاً وهي ما تغطي به المرأة رأسها وتكون أضيق من القناع، حيث ورد أن القناع منديل يضعه الرجال والنساء فوق الرأس. المقریزی، السلوك، ج٢، ق٢، ص ٤٣٣.

١٢٨. ابن تغرى بردى، المنهل الصافي، ج٦، ص ٣٣١؛ المقریزی، السلوك، ج٢، ق٢، ص ٤٣٣.

١٢٩. المقریزی، السلوك، ج١، ص ١٣٨.

١٣٠. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٦، ص ٣٧٦؛ سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص ٢١٧.

١٣١. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٦، ص ٣٧٦؛ سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص ٢١٧.

١٣٢. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٧٧.

١٣٣. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٨، ص ١٦٥.

١٣٤. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ١١٠؛ سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص ٢١٥.

١٣٥. محمد قنديل البقلي، الطرب، ص ٢٨ - ٢٩.

المغاني في إستقباله حتى وصل إلى القاهرة لإستلام السلطة فرُسم بزينة القاهرة وكتب بإحضار سائر مغاني العرب كلها بأعمال الديار المصرية ١٣٦ فقد إحتفل بحضوره في حضور المغنيين والمغنيات، وعندما تولى الناصر محمد بن قلاوون الحكم للمرة الثالثة أوقدت الحوانيت كلها إلى ميدان الرميطة وسوق الخيل، ورُصت المغاني وأرباب الملاهي في عدة أماكن ونثرت عليهم الدراهم فكان يوماً عظيماً^{١٣٧}، وعندما تسلطن الظاهر برقوق للمرة الثانية عام ٧٩٢هـ / ١٣٨٩م، جلس بالقصر وخلع على الأمراء وأرباب الوظائف ثم قام ودخل إلى الدور السلطانية إستقبلته المغاني بالتهاني^{١٣٨} من كل مكان وكان للمغاني دوراً كبيراً عند استقبال السلطان فرحاً به.

كان للمغاني دوراً عظيماً أيضاً عند تأمير أبناء السلاطين ومماليكه، ففي عام ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م، أمر السلطان إثنين وثلاثين أميراً من مماليكه... وركبوا جميعاً بالشرابيش، وشقوا القاهرة، وأوقدت الحوانيت كلها، ورُصت المغاني وأرباب الملاهي في عدة أماكن ونثرت عليهم الدراهم فكان يوماً مشهوداً^{١٣٩}، وعندما عزم السلطان الناصر محمد بن قلاوون على تأمير (أن يؤمر) ابنه ٧٣١هـ / ١٣٣٠م، أحمد الذي أحضره من الكرك، ركب الأمير بكتمر الساقى وسائر الأمراء وجميع الخاصكية إلى القبة المنصورية بين القصرين في خدمة الأمير أحمد وهو بشربوش وعلى رأسه سنجق^{١٤٠}، وأمر معه أيضاً ثلاثة أمراء عشراوات^{١٤١} وألزم الأمير ناصر الدين بن المحسنى والى القاهرة جميع أرباب الحوانيت بالقاهرة أن يوقدوا الشموع والقناديل ويزينوا القاهرة، فزينوا الأسواق وأشعلوا الشموع والقناديل، وجلس أرباب الملاهي في عدة أماكن يضربون بالآلاتهم فرحاً بتأمير أحمد بن السلطان الناصر محمد بن قلاوون^{١٤٢}.

للمغنيات دوراً آخر عند إلقاء القبض على الأمراء والإفراج عن آخرين، ففي عهد الناصر محمد بن قلاوون عام ٧١٠هـ / ١٣١٠م، كان السلطان قد قرر مع مماليكه القبض على عدة من الأمراء وأن كل عشرة يقبضون على أمير ممن عينهم، بحيث يكون العشرة عند دخول الأمير مُحتفى به فإذا رفع السباط وإستدعى السلطان أمير جاندار قبض كل جماعة على من عُين لهم فعندما حضر الأمراء في الخدمة أحاط بهم المماليك ففهموا المقصود وجلسوا على السباط فلم يتناول أحد منهم لُقمة، وعندما نهضوا أشار السلطان إلى أمير جاندار فتقدم إليه وقبض الأمير على الأمراء المعنيين وعدتهم إثنان وعشرون أميراً فلم يتحرك أحداً منهم، وركب الجميع بالخلع والشرابيش من المدرسة المنصورية بين القصرين (شارع المعز لدين الله الآن) وشقوا القاهرة، وقد أوقدت الحوانيت كلها، وُصفت المغاني وأرباب الملاهي في عدة أماكن ونثرت عليهم الدراهم فكان يوماً مشهوداً^{١٤٣}.

١٣٦. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٨، ص ١٦٥.

١٣٧. المقرئى، السلوك، ج٢، ق ١، ص ٧٧.

١٣٨. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص ٣٥.

١٣٩. المقرئى، السلوك، ج٢، ق ٢، ص ٣٣٥.

١٤٠. يعبر عن رمح وإن عني بها معنى اللواء، أنظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ٥، وهو ولفظ تركي استعمل بمعنى العلم أو الراية أو بمعنى الرمح أو اللواء، أنظر: محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ، ص ٧٣.

١٤١. أميرعشرة رتبة عسكرية في الجيش المملوكي ونصيب كل منهم في الحرب امرأة عشرة فرسان، ومن هذه الطبقة يعين صغار الولاة، انظر: محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ، ص ٢٢.

١٤٢. المقرئى، السلوك، ج٢، ق ١، ص ٧٧.

١٤٣. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٩، ص ١٢ - ١٤.

ففي حوادث سنة ٧٤٢هـ / ١٣٤١م، عندما قدم الأمير ملكتمر الحجازي من سجنه في الإسكندرية فإن خوند الحجازية زوجته تلقته بجواربها وخدامها ومغانها تضرب بالدفوف فرحاً به^{١٤٤}.
والمثير للدهشة هنا أيضاً هو أن المغاني كانت تلعب دوراً أيضاً عندما كان السلطان يعاقب جواربه، فقد كان السلطان الملك المنصور حاجي عام ٧٩١هـ / ١٣٨٨م، إذا ضرب أحداً من جواربه يتجاوز ضربه لهن الخمسمائة عصاة فكان الملك الظاهر عندما يسمع صياحهن يُرسل يشفع فيهن، فلا يمكنه المخالفة فيطلق المضروبة وعنده في نفسه منها كمين كونه ما إشتفى فيها وكان له جوقة مغان كاملة من الجوارى، كما كانت عادة الملوك والأمراء تلك الأيام نحو خمس عشرة واحدة يُعرفن من بعده بمغاني المنصور، فعندما صار الملك الظاهر برقوق يشفع في الجوارى لما يسمع صياحهن بقي المنصور إذا ضرب واحدة من جواربه يأمر مغانيه أن يزفوا بالدفوف وترعق المواويل فتصرخ الجارية المضروبة فلا يسمعها الملك الظاهر ولا غيره، ففطن بذلك حريم السلطان الملك الظاهر وأعلموه الخبر وقلن له إذا سمع السلطان زف المغاني في غير وقت المغنى فيعلم السلطان أنه ضرب جواربه وخدمه فعلم الظاهر ذلك فصار كلما سمع المغاني تزف وتغنى أرسل إليه في الحال بالشفاعة^{١٤٥}.

وعلى الرغم من أن مهنة الحسبة هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا أن طائفة المغاني لعبت دوراً عند خلع محتسب ورجوع محتسب آخر، ففي عام ٧٨٢هـ / ١٣٨٠م خلع على جمال الدين محمد العجمي، وأعيد إلى حسبة القاهرة، ففرح العامة به فرحاً زائداً، وكادوا يحملون بغلته وهو عليها بالخلعة، وصبوا ماء الورد عليه وعلى من معه ومن الزعفران الذي تخلقوا به شيئاً كثيراً، وبالغوا في إشعال الشموع والقناديل بالقاهرة، ووقفت له المغاني تزفه إذا مر بها في مواضع عديدة، وكان يوماً مشهوداً، وذلك أنه قد تعذر وجود الخبز بالأسواق وظل الخبز مختمى من الأسواق عدة أيام، فظنوا أن قدوم الجمال المحتسب الجديد يكون مباركاً فكان كما ظنوا^{١٤٦}، ففي عام ٨٦٠هـ / ١٤٥٥م، حصل للقاضي ناظر الخاص^{١٤٧} مرض في صوته فانقطع عن الخروج ثم شفي بعد ذلك وطلع إلى القلعة فأخلع عليه السلطان ونزل من القلعة في موكب حافل وأمامه أرباب الدولة وأعيان الناس وزينت له القاهرة من بيته إلى القلعة وجلست المغاني على الدكاكين يحتفلون به وكان يوماً مشهوداً^{١٤٨}، وقد فرح الناس بقاضي القضاة كمال الدين عندما طلبه السلطان الغوري ٩١٦هـ / ١٥١٠م، وخلع عليه وشق القاهرة في موكب حافل وزفته المغاني بالطلب والزمر^{١٤٩}.

بالإضافة إلى ذلك عندما كان ينتهي العمل من بناء قصر أو أي شيء خلفه لنا سلاطين المماليك من آثار معمارية فقد كان السلاطين يحتفلون بذلك بمجرد إنتهاء العمل منه، ففي عام ٧١٤هـ / ١٣١٤م، عندما إنتهي العمل من القصر

١٤٤. المقریزی، السلوك، ج٢، ق٣، ص٥٩٥.

١٤٥. ابن تغرى بردی، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣٨٠ - ٣٨١.

١٤٦. المقریزی، السلوك، ج٣، ق١، ص٣٩٥.

١٤٧. النظر هو رأي العين لأنه يدير نظرة في أمور ما ينظر فيه وإما من النظر بمعنى الفكر لأنه فيه المصلحة من ذلك، والناظر هو المشرف، انظر: حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف، ج٣، ص١١٧٧، ومن أهم الأمور التي يتحدث بها ناظر الخاص هو التحدث فيما هو خاص بهال السلطان من إقطاعه أو نصابه من أموال الخراج وبلاد الجباية مما هو خارج عن الأموال العامة، ولم يستطيع أن ينفذ أي أمر من الأمور إلا بمراجعة السلطان. انظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٣٠؛ حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف، ج٣، ص١٢٠٨.

١٤٨. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٣٣٥.

١٤٩. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص١٨٩.

الكبير الأبلق^{١٥٠} بالقلعة أولم السلطان الناصر محمد بن قلاوون في ذلك اليوم وجمع القضاة الأربعة وسائر الأمراء وقرأ ختمة ومدد سماً حافلاً، ثم أحضر آخر الليل المغاني وأرباب الآلات، وبات بالقصر تلك الليلة، وأحرق حرقاً نفظ بالرملة، وكانت ليلة ملوكية لم يسمع بمثليها^{١٥١}.

وفي عهد السلطان قانصوه الغوري سنة ٩١٨هـ/ ١٥١٢م، عندما توجه نحو المقياس وجلس في القصر الذي أنشأه هناك وكان معه جماعة من الأمراء فأقام هناك طوال اليوم وإنسرح في ذلك اليوم إلى الغاية، وكانت هناك موائد حافلة، وأحضر بين يديه المغاني وأرباب الآلات^{١٥٢}، وفي عام ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م، تم الإحتفال بالإنهاء من العمل في بناء مدرسة السلطان التي أنشأها بالشرابشين فعمل هناك في تلك الليلة وليمة حافلة وحضر فيها الخليفة المستمسك بالله يعقوب والقضاة الأربعة وأعيان الناس والمباشرين والأمراء وحضر في تلك الليلة قراء البلد والوعاظ ومدد أسمطة حافلة وعمل هناك أوقدة حافلة وزينت الدكاكين وحضرت المغاني وكانت تلك الليلة من الليالي المشهودة^{١٥٣}. بالإضافة إلى أنهم أي المغاني كن يقرمون بدور التشهير والتجريس وهي أن يُطاف بالشخص على حماراً أو ثور ويضرب الجرس على رأسه وأحياناً تزفه المغاني ويوضع في عنقه ماشة وهون^{١٥٤}.

فعلى سبيل المثال لا الحصر أنه في عام ٨٢٠هـ / ١٤١٧م، ظهر دور المغاني في التشهير بوالى دمياط، ففي هذا العام وقعت فتنة بدمياط قُتل فيها الوالى، فمنذ أن بدأت دولة الظاهر برفوق وعهده كانت أعمال مصر لا يتولاها والى إلا وقام بدفع مال يلتزم به^{١٥٥}.

وظهر دور المغاني في حالات المصادرة، فعندما صُودر النشو في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون نزل الأمراء إلى منزله لإخراج حواصل النشو، وهي عبارة عن التحف والصينى والبللور والذهب وغير ذلك، وزينت القاهرة ومصر بسبب القبض على النشو زينة هائلة وعُملت أفراح كثيرة^{١٥٦} ظهر دور المغاني فيها بالدقوف والرقص. هكذا كان لسلاطين المماليك حفلات سمر خاصة يجمعون فيها المغنيين والمغنيات فقد كانوا ينتهزون كل فرصة فكلما أنشأوا مسجداً أو مدرسة أقاموا حفلاً، وكلما إنتقلوا من مكان إلى مكان أقاموا لذلك حفلاً، والغريب كما سبق أن ذكرنا أن لعب الكرة في عهدهم كان له هو الآخر حفل بختامه^{١٥٧}.

هذا وقد كانت قلة قليلة من سلاطين دولة المماليك تكره اللهو والطرب، فعندما كانت الملوك السالفة تهوى التزهة والطرب، وعُمرت في أيامهم بولاق وبركة الرطلى^{١٥٨} وغيرها من الأماكن، نجد أن هناك من السلاطين من كره

١٥٠. ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج٧، ص٦.

١٥١. ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٤٤٥.

١٥٢. عبد الوهاب عزام، مجالس السلطان الغورى، ص١٥ - ١٧؛ على السيد على، الجوارى، ص٩١.

١٥٣. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص٥٢ - ٥٣.

١٥٤. سعيد عاشور، المجتمع المصرى، ص١١٠.

١٥٥. المقرئى، السلوك، ج٤، ق١، ص٤٢٩ - ٤٣٠.

١٥٦. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٩، ص١٣٨.

١٥٧. محمد قنديل البقل، الطرب، ص٤١.

١٥٨. كانت بركة الرطلى تعرف بإسم بركة الطوايين، إذ كان الطوب يعمل فيها وهي بجانب الخليج الذي أعاد حفره الناصر محمد بن قلاوون، وعُرفت كذلك بإسم بركة الحاجب، لأنها كانت بيد الأمير بكتمر الحاجب أحد أمراء الناصر محمد ثم اشتهرت بإسم بركة الرطلى لوجود شخص بجانبها كان يصنع الأبطال الحديد التي تزن بها الباعة. أنظر: المقرئى، الخطط، ج٢، ص١٢٥ - ١٦٢.

اللهو والطرب وسار في سلطنته على قدم هائل من العبادة والعفة عن المنكرات والفروج، فالسلطان الظاهر بيبرس أمر بإزالة الخمر وإبطال الفساد، والخواطئ من القاهرة ومصر، بل وجميع أعمال مصر، فطُهرت كلها من المنكر، ونُهبت الخانات التي كان يقيم بها أهل الفساد وسُلبت جميع أحوال المفسدات، وحسن حتى يتزوجن، ونفى كثير من المفسدين وكتب السلطان الظاهر بيبرس بمثل ذلك وحط وألغى الضرائب وما كان يؤخذ من هذه الجهات من الضرائب، و عوض المقطعين جهات حلالاً^{١٥٩}.

وظل ذلك حتى عام ٦٧٠هـ/ ١٢٧٠م، فقد كان متشدداً في إراقة الخمر وإزالة المنكرات فكان يوماً مشهوداً^{١٦٠} وعندما حضر الشيخ شمس الدين بن دانيال إلى مصر عمل مقامة لطيفة، فقال: عندما جئت من الموصل إلى مصر في دولة الظاهر بيبرس، وجدت تلك الرسوم دارسة، ومواطن الأُنس بها غير آنسة، وأرباب المجون والخلاعة عابسة، وقد هزم السلطان جيش الشيطان، وتولى الحرّاني والى القاهرة إهراق الخمر، وحجر على البغايا والخواطئ....^{١٦١} وقال قاضي الإسكندرية ناصر الدين بن محمد بن منصور بن أبي بكر بن قاسم بن مختار المنير، عندما وردت إليه المراسيم بالإسكندرية وعفى متوليها أثر المحرمات.

لميس لإبليس عندنا أرب
غير بلاد الأمير مأواه
الخمر والحشيش معاً
حرمته ماء ومرعاه

وقال أبو الحسين الجزار:

قد عطل الكوب من حبابه
وأخلى الشجر من رضا به
وأصبح الشيخ وهو يبكي
على الذي فات من شبابه

والمثير للدهشة أنه في عهد الظاهر برقوق قل الفساد والمنكرات، حتى قيل عنه أنه أصلح من تولى مُلك مصر من طائفة السلاطين المماليك في أمر الدين والتقوى فإنه قمع المفسدين والجبارين من كل طائفة، وكسدت في أيامه أحوال المغاني وأرباب الملاهي^{١٦٢} وأصبح غالب أمرائه وجنده من الصالحين وبقي معظمهم يصوم الأيام في الشهر، ويعف عن المنكرات، هذا كله بخلاف ما كان عليه كثير من الملوك السابقين، فإنه كان غالبهم يقع فيما ينهى عنه^{١٦٣}.

وقد كان السلطان الظاهر جقمق يكره اللهو والطرب ويحب مجالسة الفقهاء^{١٦٤} فهو من السلاطين الأتقياء، وسار في سلطنته على قدم هائل من العبادة والعفة عن المنكرات والفروج، وأخذ في مقت بل وتعقب من كان يتعاطى المسكرات من أمرائه وأرباب دولته فعند ذلك تاب أكثرهم وأصبحوا صالحين وتزهدوا في العبادة^{١٦٥}.

١٥٩. المقرئ، السلوك، ج١، ق٢، ص٥٥٣-٥٥٤، ٥٧٨؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٣٢٦.

١٦٠. المقرئ، السلوك، ج١، ق٢، ص٥٩٧؛ الشهاوي، الحسبة في مصر الإسلامية، ص١١٥.

١٦١. ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج١٣، ص٤٣؛ السيوطي، حُسن المحاضرة، ج٢، ص٢٠٩؛ المقرئ، السلوك، ج١، ص٥٧٨، ج٢، ص١٥، ج٤، ص٤٧١؛ العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٧، ص٥٦٤؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٣٢٦-٣٢٧.

١٦٢. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص٤٥٨.

١٦٣. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٤، ص٢٩.

١٦٤. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص٤٥٩؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٤، ص٢٩٨.

١٦٥. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص٣٤٨.

والشيء الذي يجب أن نتنبه إليه هنا هو أن ما كان يفعله السلطان الظاهر جقمق كان يسرّ الناس ويسعد قلوبهم، ففي عام ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م، أبطل السلطان ما كان يُعمل بقلعة الجبل من الزفة بالمغاني، والمواصل والخليلية عند غروب الشمس، وعند فتح باب القلعة من أول النهار وبعد عشاء الأخرة التي يقال لها نوبة خاتون، ورسم لأرباب هذه الوظائف أن يمضوا إلى حال سبيلهم فعظم ذلك على الناس^{١٦٦}، حقاً الناس على دين ملوكهم .

ومن السلاطين من اختلف موقفه من وقتٍ لآخر فتارة يشجع وجود الغناء وتارة لا يشجعها (دون وجود أزمات إقتصادية)، ففي عهد السلطان المنصور سيف الدين قلاوون ٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م، وصل ناصر الدين محمد بن محمود صاحب حماة إلى القاهرة فركب السلطان وذهب لإستقباله، وإهتم به إهتماماً كبيراً ورُسم بتضمين الخمر، فظهر شرب الخمر وكثر السكرى، وزال الإعتراض عليهم، ولكن ظل ذلك أيام قليلة فقط، حتى صدرت الأوامر بإرابة الخمر وإبطال ضمانها، ومُنع من التظاهر بشيء من المنكرات جميعها^{١٦٧}.

هذا وقد تصدى بعض أمراء المماليك أيضاً إلى مظاهر الإنحلال والفساد التي تظهر واضحة خاصة عند أماكن النيل بسبب تجمع المغاني في هذه الأماكن فقد منع الأميران بيبرس وسالار المراكب من دخول الخليج الحاكمى للفرجة^{١٦٨} كذلك منع الأميران بقوق وبركة عام ٧٨١هـ/ ١٣٧٩م، من دخول الخليج الناصرى بسبب ما يتتهك في المراكب من الحُرّمات ويتجاهر به من الفواحش والمنكرات^{١٦٩} وكل هذا كان يحدث بسبب تجمع المغاني هناك أيضاً.

- إرتفاع قدر المغنيات بزواجهن من سلاطين المماليك:

شغف سلاطين المماليك شغفاً كبيراً بالغناء والمغنيات وأغدقوا عليهم الكثير والكثير^{١٧٠}، فقد إرتفع شأن العديد منهن مثلما حدث مع إتفاق العوادة وذلك عندما أفرط الملك الصالح إسماعيل في حبها^{١٧١} وفي العطاء لها وقرب أرباب الملاهي وأعرض عن تدبير المُلْك بإقباله على النساء والمطربين^{١٧٢} هذا وقد تزوجها الصالح إسماعيل، وعندما تسلطن الملك الكامل شعبان نالت إتفاق المُغنية في عهده من الحظ والسعادة مالا عُرف في زمانها لإمرأة، وباتت عنده من ليلته أول ما تسلطن لما كان في نفسه منها أيام أخيه^{١٧٣}، وإرتفع شأن المغنية إتفاق العوادة في عهد الملك المظفر حاجي عام ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م، فتزوجها وأنعم عليها، وفرش تحت رجلها ستون شقة أطلس، ونثر عليها الذهب ثم ضربت بعودها وغنت فأنعِم السلطان عليها بأربعة فصوص وست لؤلؤات ثمنها أربعة آلاف دينار^{١٧٤}، هذا وقد كانت

١٦٦. ابن تغرى بردى، حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، ج٢، ص ٣٣٩ - ٣٤٠؛ السخاوى، الضوء اللامع، ج٣، ص ٧٢.

١٦٧. المقرئى، السلوك، ج١، ق٣، ص ٦٦٨.

١٦٨. المقرئى، الخطط، ج٢، ص ١٤٢، (بولاق).

١٦٩. المقرئى، الخطط، ج٢، ص ١٥٠؛ السيوطى، حسن المحاضرة، ج٢، ص ٣٠٦؛ قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصري، ص ٥٠.

١٧٠. سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص ١١٦.

١٧١. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص ٩٦، حاشية ٤؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص ٨٣.

١٧٢. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص ٩٨.

١٧٣. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص ١٥٠.

١٧٤. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج١، ص ٢٥٤؛ المقرئى، السلوك، ج٢، ق٣، ص ٧٢١؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص ٨٤.

أم السلطان الملك الناصر أحمد إسمها بياض، وكانت تجيد الغناء وكانت من عتقاء الأمير بهادر آص رأس نوبة^{١٧٥} وكانت تعرف بقومة^{١٧٦} وكان للناس بها إجتماعات في مجالس أنسهم، فلما بلغ السلطان الملك الناصر خبرها طلبها وإختص بها وحظيت عنده، فولدت أحمد هذا على فراشه، ثم تزوجها بعد ذلك الأمير ملكتمر السرجواني في حياة الملك الناصر محمد بن قلاوون^{١٧٧}، وكذلك نسمع عن شهد دار وكانت بدیعة في الحُسن والجمال، تزوجها المقر الشهابي أحمد بن الجيعان أحد كبار الأمراء المماليك وشغلته عن تدبير أحوال المملكة وكانت تحسن الضرب بالسبع آلات المطربة^{١٧٨}.

- المغاني سبب في الإطاحة بالسلطين وخراب الدولة:

وقيل أن المغاني كانت سبباً في الإطاحة بالسلطين المماليك إلى جانب أنهم كانوا أيضاً سبباً في خراب البلاد، ففي عهد الملك المنصور أبي بكر بن الملك الناصر محمد بن قلاوون ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م، صار السلطان في الليل يطلب الغلمان لإحضار المغاني، فغلب عليه السكر في بعض الليالي فصاح من الشباك على الأمير أيدغمش أمير أخور^{١٧٩} هات لي قطقط^{١٨٠} فقال أيدغمش: يا خوند ما عندي فرس بهذا الإسم، فتكلم بذلك السلاخورية^{١٨١} والركابية^{١٨٢} وتداولته الألسنة، فمن المحتمل أن يكون قطقط إمراًة مغنية... فلما زاد أمره طلب الأمير قوصون طاجار الدوادار والشهابي شاد العمائر وعنفهما ووبخهما وقال لهما: سلطان مصر يليق به أن يعمل مقامات ويحضر إليه البغايا والمغاني، وهكذا كان يفعل والده^{١٨٣}.

١٧٥. هو لقب على الذي يتحدث على ممالك السلطان أو الأمير، وتنفيذ أمره فيهم والمراد بالرأس هنا الأعلى آخذاً من رأس الإنسان لأنه أعلة، والنوبة واحدة النوب وهي المرة بعد الأخرى، والعامية تقول لأعلامهم في خدمة السلطان رأس نوبة النوب، والمقصود علو صاحب النوبة لا النوبة نفسها والصواب فيه أن يقال رأس رؤس النوب أى أعلامهم. أنظر: القلقشندى، صبح الأعشى، ج٥، ص ٤٥٥؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص ٧٩.

١٧٦. في السلوك كانت شهرتها قونية، أنظر: ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص ٥٠، حاشية ١.

١٧٧. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص ٥٠؛ المقرئى، السلوك، ج٢، ق٣، ص ٥٩٣ - ٥٩٤، محمد فنديل البقلى، الطرب في العصر المملوكى، ص ٤٨.

١٧٨. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٢٢٠.

١٧٩. هو المشرف على اسطبل السلطان وخبوله ويسكن بالاسطبل السلطاني، انظر: محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص ٢٠.

١٨٠. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص ١٢.

١٨١. ذكر صاحب صبح الأعشى أن السراخور هو الذي يتحدث على علف الدواب من الخيل وغيرها وهو مُركب من لفظين فارسيين: أحدهما سراً ومعناه الكبير والثاني خور ومعناه العلف، ويكون المعنى كبير العلف، والمراد كبير الجماعة الذين يتولون علف الدواب، وبعضهم يقول سلاخور أو السلاخورية كما ذكر المؤلف وهو تحريف في أصل الكلمه صوابه السراخورية. أنظر: القلقشندى، صبح الأعشى، ج٥، ص ٤٦٠؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص ١٢.

١٨٢. الركابية: هم الذين يركبون خيول السلطان والأمراء لتسييرها وترويضها أو لتدريبها على السباق: ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص ١٢، حاشية ٣.

١٨٣. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص ١٢.

فما حدث لم يكن يعجب الأمراء، فُخلع الملك المنصور أبو بكر من السلطنة وسلم القلعة بغير قتال، وقد كان المجنون واللهو والخلاعة ووجود أرباب المغاني عنده طوال الوقت وطلبه أن يحضروا إليه بالليل^{١٨٤} كان من أسباب خلعه والإطاحة به، وفي عهد الملك الكامل شعبان عام ٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م، قيل أنه خربت بلاد كثيرة في عهده لشغفه وعكوفه على معاقره الخمر وسَمْع الأغانى^{١٨٥}.

رأى الفقهاء في الأغانى

على الرغم من تشجيع السلاطين المماليك للغناء إلى جانب عامة الشعب إلا أنه كان للفقهاء رأى في الغناء، فقد ذكر ابن الحاج في كتابه المدخل إلى الشرع الشريف أن الشيخ الإمام أبو بكر الطرطوشى رحمه الله في كتابه المسمى بكتاب النهى عن الأغانى وقد كان الناس فيما مضى يستتر أحدهم بالمعصية إذا واقعتها ثم يستغفر الله ويتوب إليه إزداد الأمر إدياراً حتى بلغنا أن طائفة من إخواننا المسلمين وفقنا الله وإياهم إستزلهم الشيطان واستهوى عقولهم في حب الأغانى واللهو وسماع الطقطقة وإعتقده من الدين الذي يقربهم من الله تعالى وجاهرت به جماعة من المسلمين وشاقت به سبل المؤمنين وخالفت العلماء والفقهاء^{١٨٦} وحملة الدين، وقد قال الإمام مالك إنما يفعلنا عندنا الفساق ونهى عن الغناء وإستماعه، أما أبو حنيفة رحمه الله فإنه يكره الغناء ويجعله من الذنوب، وأما الشافعى رضى الله عنه فقال في كتاب أدب القضاء أن الغناء لهم مكروه ويشبه الباطل والمحال، وأما سماعه من المرأة فإن أصحاب الشافعى مجموعة على أنه لا يجوز بحال سواء كانت مكشوفة أو من وراء حجاب وسواء كانت حرة أو مملوكة قال الشافعى وصاحب الجارية إذا جمع الناس لسماعها فهو سفیه ترد شهادته وغلظ القول فيه، وقال هو ديانة فمن فعل ذلك كان ديوثاً، وكان الشافعى يكره الطقطقة بالقضيب ويقول وضعته الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن القرآن، وأما العود والطنبور وسائر الملاهى فحرام ومستمعه فاسق وقال صلى الله عليه وسلم «من فارق الجماعة قيد شبر مات ميتة الجاهلية» وهذه الطائفة مخالفة لجماعة المسلمين لأنهم جعلوا الغناء ديناً وطاعة، قال الحسن ومجاهد والنخعى هو الغناء، وقال ابن مسعود لهو الحديث الغناء والإستماع إليه^{١٨٧}، ﴿أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون﴾^{١٨٨} قال ابن عباس رضى الله عنهما سامدون هو الغناء بلغة حمير، وقال مجاهد هو الغناء لقول أهل اليمن سمد فلان إذا غنى، وروى أبو إسحاق ابن شعبان في كتاب الزاهى بإسناده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة فيهن»^{١٨٩}، وروى أبو هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «يمسخ قوم من أمتى آخر الزمان قرده وخنازير قالوا يا رسول الله مسلمون هم قال نعم يشهدون أن لا إله

١٨٤. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ ١٠، ص ١٦.

١٨٥. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ ١٠، ص ١٤.

١٨٦. ابن الحاج، المدخل إلى الشرع الشريف، جـ ٣، ص ١٠٠.

١٨٧. ابن الحاج، المدخل، جـ ٣، ص ١٠١.

١٨٨. قرآن كريم، سورة النجم، الآية رقم ٥٩ - ٦٠.

١٨٩. ابن الحاج، المدخل، جـ ٣، ص ١٠٢.

إلا الله وأنى رسول الله ويصلون ويصومون قالوا يا رسول الله فما بالهم قال إتخذوا المعازف والقينات والدفوف وشربوا هذه الأشربة فباتوا على شرابهم فأصبحوا وقد مسخوا»^{١٩٠}، وذكر ابن الحاج أن صوت المعازف وإستماع المغاني واللهو بها ينبت النفاق في القلب كما ينبت العشب على الماء، وذكر أن يزيد بن الوليد قال يا بنى أمية إياكم والغناء فإنه يزيد الشهوة ويهدم المروءة، وإنه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعل المسكر فإن كنتم لا بد فاعلين فجنوه النساء فإن الغناء داعية الزنا^{١٩١}.

ضريبة ضمان المغاني وموقف الفقهاء منها

هي من الموارد المالية غير الشرعية، ولجأت إليها الدولة عندما قلت إيراداتها المالية، فبدأت تفرض الضرائب والمكوس^{١٩٢} المختلفة بكافة أشكالها وأنواعها بصورة شديدة على العباد وكانت تلك الضرائب لا تفرض على الأرض الزراعية أو على الرؤوس، وإنما تفرض على الإنتاج، وكان هذا النوع من الضرائب يثير حفيظة الفقهاء حيث يعتبرونه غير مشروع إذ أن التجارة في الإسلام ليس عليها أى ضرائب^{١٩٣} وإتخذت أسماء مختلفة منها هلالى أى الأموال الهاللية^{١٩٤} وقد كان للفقهاء والقضاة رأى في ضمان المغاني على عهد السلطان الأشرف شعبان ففي عام ٧٧٥هـ / ١٣٧٣م، إجتمع قاضي القضاة برهان الدين إبراهيم ابن جماعة والشيخ سراج الدين عمر البلقيني بالسلطان وعرفاه ما في ضمان المغاني من المفاسد والقبايح، فسمح السلطان بإبطاله، وكتب مرسوم إلى الوجه القبلى والوجه البحري، بعد ما قرئ على منابر القاهرة ومصر، فبطل ضمان المغاني وكان يتحصل منه مال كبير جداً وزال بزواله منكر شنيع^{١٩٥}.

وعلى الرغم من تقريب المغاني للسلطان الأشرف شعبان بن السلطان حسين إلا أنه ألغي ضمان المغاني عام ٧٧٨هـ / ١٣٧٦م^{١٩٦} هذا وقد بطل ضمان المغاني والأفراح بجميع مصر من أسوان إلى العريش وقد أعاده وزراء

١٩٠. ابن الحاج، المدخل، ج٣، ص ١٠٢.

١٩١. ابن الحاج، المدخل، ج٣، ص ١٠٥.

١٩٢. مفردها مكس بمعنى ضريبة أسواق معروفة من قبل في العصر الجاهلي، وكلمة مقس إسم قرية على ساحل النيل في شمال القاهرة، وكانت تعرف بإسم أم دين، وسميت بعد ذلك بهذا الإسم لأن الماكس كان يقعد بها ليستخرج المكس فكلمة مقس تحريف لكلمة مكس. أنظر: سيدة الكاشف، مصر في عصر الولاة، ص ٤٠؛ أحمد الصاوى، مجاعات مصر الفاطمية، ص ١٤٢، حاشية ١؛ المسجى، أخبار مصر، تحقيق: أيمن فؤاد سيد وتيرى بيانكى، ص ٢٠، حاشية ٤.

١٩٣. راشد البراوى، حالة مصر الإقتصادية، ص ٣٤٠؛ ضياء الدين بيبرس، الخراج والنظم المالية للدولة الفاطمية، ص ١٣٩.

١٩٤. المال الهلالى هو عدة أبواب أحدثها ولاة السوء شيئاً بعد شيء... وقيل أن عمر بن عبد العزيز نهى عن ذلك وكتب ضعوا عن الناس هذه المكوس فليس بالمكس ولكنه النجس، وأول من أحدث مالا سوء، هو أحمد بن المدير لما ولى خراج مصر بعد سنه خمسين ومائتين واستمرت إلى الدولة الفاطمية. أنظر: المقرئى، الخطط، ج١، ص ١٠٣ - ١٠٤ (بولاق) وكانوا يطلقون على الضرائب المختلفة من المكوس اسم المال الهلالى: أنظر راشد البراوى، حالة مصر الإقتصادية، ص ٣٤٠. وكانت هذه الضرائب يتم تحصيلها من أصحاب الحرف المختلفة.... ابن تغرى بردى، النجوم، ج٩، ص ٤٩، حاشية ٣؛ حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٤٨؛ المقرئى، الخطط، ج١، ص ١٠٧؛ ابن ممتى، قوانين الدواوين، ص ٣٤١.

١٩٥. المقرئى، السلوك، ج٣، ق١، ص ٢١٧.

١٩٦. المقرئى، السلوك، ج٢، ق٢، ص ٤٩٢؛ المقرئى، الخطط، ج١، ص ١٠٦ (بولاق)؛ سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص ١٣٩.

السوء لكثرة ما يتحصل منه^{١٩٧}، وفي عهد الظاهر برقوق ٧٨٤هـ / ١٣٨٢م، كان له موقف من المغنيين والمغنيات، فأبطل ضمان المغاني بالكرك والشوبك ومن منية ابن خصيب^{١٩٨} وزفته من أعمال مصر^{١٩٩}. كل هذه محاولات من جانب سلاطين الدولة لإلغاء هذا المبلغ الذي أطلق عليه الضمان لكن سرعان ما كان يتجدد وبخاصة في دولة المماليك الجراكسة أي منذ أواخر القرن الرابع عشر وطوال بقية عصر سلاطين المماليك، وربما كان الدافع في عدم إلغائه نهائياً هو سوء الأحوال المالية والإقتصادية التي أخذت تعاني منها البلاد منذ أوائل القرن الخامس عشر للميلاد^{٢٠٠}، فكثيراً ما كان يتوقف النيل عن الزيادة وينتشر الوباء، وينتج عن ذلك الإضطراب والفوضى ويُفسر ذلك في ضوء فساد أخلاقيات الناس، وإنشغالهم بأمور اللهو والفساد^{٢٠١} فيقوم كبار المسؤولين من رجال الدولة بشن الحملات التفتيشية ومهاجمة أوكار الفساد وأماكن الفجور ومستودعات الحشيش. فعندما لم يبلغ النيل الزيادة عام ٧٨٩هـ / ١٣٨٧م، أي حد الوفاء حدث إضطراب إقتصادي أعقبه غلاءً فاحشاً، فأسرع الأمير سيف الدين سودون نائب السلطنة بمصر بالقبض على المتفرجين بالبحر وتوبيخهم، ثم قام بحملة هاجم فيها أماكن بيع الخمر، وأماكن الفساد التي يكثر فيها اللهو والمجون والخلاعة، هذا إلى جانب أنه إتخذ إجراء بكسر جرار الخمر تحت أسوار القلعة^{٢٠٢}، وفي عام ٨٠١هـ / ١٣٩٨م، أبطل الظاهر برقوق ضمان المغاني بمنية خصيب وأعمال الأشمونين وزفتا ومنية غمر من أعمال مصر^{٢٠٣}.

موقف سلاطين المماليك وكبار رجال الدولة من طائفة المغاني أوقات الأزمات الإقتصادية

على الرغم من شغف سلاطين المماليك بالغناء والمغاني وتشجيعهم لهم في مناسباتهم الخاصة والعامة مثل أفراحهم واحزانهم وإغداقهم الأموال الكثيرة عليهم إلا أننا نجد أن هؤلاء السلاطين إتخذوا موقفاً مختلفاً عند حدوث الأزمات الإقتصادية وحلول البلاء والوباء على المجتمع، ففي غالب الأحوال يُفسر الكثير حدوث الأزمات الإقتصادية والكوارث تفسيراً دينياً وأخلاقياً خالصاً فيرجعون أسبابها إلى غضب الله من جراء فساد الأخلاق وإنتشار الفسق والفجور وسيادة الظلم، وهنا يلجأ الناس سواء كانوا حكاماً ومحكومين إلى الدين، ويكثر

١٩٧. المقرئ، السلوك، ج٣، ق١، ص٢٦٦؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص١٦٦-١٦٧.

١٩٨. منية ابن خصيب هي المدينة التي تعرف اليوم بإسم المنيا قاعدة مديرية المنيا بالوجه القبلي بمصر، وهي واقعة على الشاطئ الغربي للنيل سميت منية الخصب. أنظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١، ص٢٩١. وهي نسبة إلى الخصب ابن عبد الحميد صاحب خراج مصر في عهد الخليفة هارون الرشيد العباسي، وكانت في الزمن الماضي إحدى قرى الأشمونين. أنظر: ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ص٣٤٠؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١١٢.

١٩٩. المقرئ، السلوك، ج٣، ق٢، ص٩٤٥.

٢٠٠. على السيد على، الجوارى، ص٩٥.

٢٠١. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٢٧٣-٢٧٤؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ص٧٥٨-٧٦٠.

٢٠٢. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص٧٦-٧٧؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج٩، ص٩.

٢٠٣. المقرئ، السلوك، ج٣، ق٢، ص٩٤٥.

إقبالهم على العبادة، وتقوم الحملات التي يرأسها الوالي أو غيره لمهاجمة أوكار الفساد، وما أن تنقضى الأزمة وتنقش الغمة حتى تعود الأمور إلى سيرتها الأولى^{٢٠٤}.

فقد كان سلاطين المماليك يتظاهرون بالعدل والخوف على أرواحهم أثناء إنتشار الأوبئة فيعلنون عن إلغاء الكثير من الضرائب والمغارم والمظالم والكلف وبمجرد أن يزول الخطر ويقل الخوف تعود الضرائب الفادحة لتفرض على الناس كما كانت وزيادة^{٢٠٥} ونتيجة لسوء الأحوال الاقتصادية كان يحدث تغير في عادات الناس سواء كانوا ملوكاً أو من عامة الشعب، وأحياناً أخرى ودون أن يحدث أزمات فقد يتخذ السلاطين موقف العداء من المغاني على الرغم من تشجيعهم لهم في وقت من الأوقات.

فوجد السلطان الناصر محمد بن قلاوون على الرغم من تشجيعه للغناء والمغنيين إلا أننا نجد أن موقفه قد تغير تماماً عام ٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م، ففي هذا العام طُلبت النساء المغاني وصورن ما بين ثلاثة آلاف درهم وألفى درهم الواحدة وسجن بالحجرة^{٢٠٦} أياماً حتى تاب بعضهن عن الغناء وتزوج بقيتهن، وسبب ذلك أن الأمير آنوك بن السلطان كان يركب إلى جهة بركة الحبش وكان له بها حوشاً لطيره وموضعاً ينتزه به، وأحضر إليه مغنية تُعرف بالزهرة، فشغف بها حتى بلغ السلطان ذلك فأمر السلطان للأمير أقبغا عبد الواحد أن يلزم شاد المغاني والضامنة^{٢٠٧} بعدم حضور المغاني مجالس الخمر وإقامة الفتن وإلزامهن بمال يقمن به عقوبة لهن على ذلك، وأكد عليه في أن يكون ذلك من غير أن ينسب إلى السلطان أنه أمر به رعاية لأنوك، فلما حدث ذلك شق على آنوك إمتناع المغنية التي تسمى زهرة عنه عدة أيام، إلى أن أتته سرّاً، ولهُيَ بها عن زوجته إينة الأمير بكتمر الساقى حتى علمت أمه بذلك فلشفتها عليه ترخصت له وأمكنته من هواه فخاف آنوك من السلطان، ودبر هو وبعض مماليكه حيلة أشغلت بال السلطان عنه وكتب ورقة يخيله فيها من الأمير بشتاك والأمير أقبغا، وألقت إلى السلطان فتم بعض مماليكه للأمير أقبغا بذلك فبلغه السلطان فدخل إلى الدور وإستدعى آنوك وهم بقتله بالسيف فمنعته أمه وجواريه، فأرعد آنوك من الخوف ولزم الفراش، وتغير السلطان على لاله أرغون العلائي وأقام طيغا المعجدي عوضه، ورسم بيع الدار التي عمرها آنوك ببركة الحبش، فهذا يعتبر موقف عداء ولقد أثر الإمام ابن تيمية على السلطان الناصر محمد بن قلاوون وجعله يبطل ما كان يأخذه مهتار الطشتخاناه من البغايا والفواحش والمغاني، وكانت جملة مستكثرة وكبيرة، وكان ابن تيمية يعيب على الحكومة تهاونها مع شاربي الخمر ويقوم بمهاجمة الأماكن التي تباع فيها ويعاقب شاربيها وبشدة^{٢٠٨}.

ونتيجة للوباء الذي هلك في البلاد والعباد عام ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م، فقد قُطعت رواتب المغاني^{٢٠٩} إلى جانب عدم حدوث أفراح وأعراس بين الناس فلم تذكر المصادر والمراجع أن أحداً من الناس سواء الحكام أو المحكومين

٢٠٤. قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص ٣٦٢ - ٣٦٦.

٢٠٥. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص ٧٧ - ٣٠٤.

٢٠٦. كان بالقاهرة مكان معين بهذا الاسم وأنه كان يستخدم لما يشبه الحبس أو الإعتقال لتلك الطبقة من النساء في مصر في العصور الوسطى، المقرئى، السلوك، ج٢، ق٢، ص ٤٩١، حاشية ٦.

٢٠٧. المقرئى، الخطط، ج١، ص ١٠٦؛ المقرئى، السلوك، ج٢، ق٢، ص ٤٩٢، حاشية ١.

٢٠٨. www.fustat.com.

٢٠٩. المقرئى، السلوك، ج٢، ق٣، ص ٧٤٨ - ٧٤٩.

قد قام بعمل عُرس في مدة حدوث هذا الوباء، ولا سُمع صوت غناء، فحط الوزير من ضمان المغاني عن الضامنة ثلث ما عليها^{٢١٠}، فيحدثنا المقرئ عن بعض الإجراءات التي أُتخذت لتخفيف مصروفات الدولة وموازنتها مع الدخل، فعندما تولى منجك الوزارة عام ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م اجتمع بالأمرء، وقرأ لهم مصاريف الدولة ووفر الكثير من الرواتب وقطع رواتب المغاني^{٢١١} هذا إلى جانب أن فرق الجوارى المغاني قد قل إستخدامها فقط عند بعض الناس^{٢١٢} وكثيراً ما صدرت أوامر الحكام بمنع مراكب النزهة من السير بسبب مظاهر المجون والخلاعة التي تصاحب مثل هذه الرحلات النيلية^{٢١٣}

من الملاحظ أن مثل هذه الأوامر الرادعة لم تكن تظهر إلا في أوقات الشدة والأزمات فإذا ما هدأت الأمور غض الحكام أبصارهم عن هذه الممارسة التي تكشف المصادر عن حرص المصريين عليها^{٢١٤}، والدليل على ذلك أن الإحتفال بعيد الشهيد إتخذ طابعاً دينياً وعماماً في وقت واحد، وكان الإحتفال به يتم على شكل مهرجان كبير على ساحل النيل ناحية شبرا، وفي هذا العيد كان يخرج الناس جميعهم على مختلف أديانهم ليشاهدوا هذا الإحتفال، وكان يحدث من اللهو والمجون والخلاعة^{٢١٥} في ظل وجود النساء المغاني ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، وقد كانت ترتكب المعاصي علانية وتثور الفتن وتقع حوادث القتل^{٢١٦} وكان المفسدون لا يجدون مانعاً من الحكام ولا الولاة ولا الحُجاب^{٢١٧} ولكن ظهر من السلاطين من أبطل هذا العيد، وفي عام ٧٠٢هـ / ١٣٠١م أبطل الأمير بيبرس الجاشنكي الإحتفال بهذا العيد بسبب مظاهر الفساد والإنحلال التي كانت تصحبه في ظل وجود المغاني والغناء، وظل الأمر على ما هو عليه حتى عام ٧٣٨هـ / ١٣٣٧م، وذلك حينما أعاد السلطان الناصر محمد بن قلاوون الإحتفال به لسبب غريب هو أن الأمير يلبغا اليحياوى والأمير الطنبغا الماردينى طلبا الخروج للصيد ولكن السلطان لم يوافق لشدة غرامه بهما، فعمل عيد الشهيد ليصرفهما عن الخروج للصيد^{٢١٨}، وكانت مدة إبطاله ستاً وثلاثين سنة.

وعند النظر إلى ما سبق ذكره يجب أن نتوقف برهة فنذكر أن الفساد والإنحلال واللهو والخلاعة يوافق بها سلطان من أعرق سلاطين دولة المماليك لأنه قد قام بإنجازات رائعة في هذا الوقت فكيف له بل ولمصلحته الشخصية أن تُعاد أمور الفساد من أجل مزاجه وسعادته هو مع من يُحب من المماليك، أليس هذا إجحاف بل فساد كبير للراعى والرعية؟

٢١٠. المقرئ، السلوك، ج٢، ق٣، ص ٧٦٤ - ٧٨٣.

٢١١. المقرئ، السلوك، ج٢، ص ٧٤٩.

٢١٢. ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص ١٢١.

٢١٣. المقرئ، الخطط، ج٢، ص ١٤٢؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص ٣٠٦.

٢١٤. قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص ٣٣١.

٢١٥. ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق١، ص ٥٦٥.

٢١٦. المقرئ، الخطط، ج١، ص ٦٨ (بولاق).

٢١٧. ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق١، ص ٥٦٥.

٢١٨. المقرئ، السلوك، ج٢، ص ٩٢٦؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ص ٢٩٩؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٨، ص ٢٠٢؛ قاسم عبده

قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص ٣٠٦.

وفي عهد السلطان الناصر حسن ٧٥٩هـ/ ١٣٥٧م، أمر بهدم الكنائس الكبيرة والأديرة، وأمر السلطان والى القاهرة علاء الدين الكوراني وسائر الحُجّاب بأن يتوجهوا إلى شبرا ويمنعوا الناس من نصب الخيام وعمل المفاسد، ونادوا بمنع ذلك، ثم أن السلطان رسم للأمير صرغتمش بأن يهدم الكنيسة بشبرا وأن يحضر الصندوق الذي فيه الأصبع وطلب القضاة الأربعة، وأمر بحرق ذلك الأصبع بحضرة القضاة^{٢١٩} ثم ذرى رماده في النهر^{٢٢٠} ومنع وجود المغاني وتجمعهم في هذه الأماكن.

ومن الجدير بالذكر أنه كثيراً ما ثارت المناقشات بحضور الفقهاء والقضاة لمنع النساء من الخروج إلى الأسواق، لاسيما في أوقات الأزمات الاقتصادية أو الأوبئة، وهو ما يكشف عن المفاهيم الأخلاقية التي كان أهل ذلك الزمان يفسرون بها أسباب الكوارث والشدائد^{٢٢١} بما فيهم المغاني، ففي عهد الملك الصالح إسماعيل عام ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م، ظهر من الأمراء نائب السلطنة الحاج آل الملك^{٢٢٢} وتبع الفواحش والخواطى^{٢٢٣}، وفي عام ٧٤٤هـ/ ١٣٤٣م إشتد الأمير الحاج آل ملك النائب على والى القاهرة ومصر في منع الخمر وغيره من المحرمات، وتبع أهل الفساد والمغاني وإحضارهم إليه، وشدد على كل شئ في المجتمع من الفساد والإنحلال الأخلاقي^{٢٢٤}.

وللولاة أيضاً دور في مهاجمة وتبعية أماكن الغناء التي تحدث بها الفساد والخلاعة واللهو، فكان الوالى يتوجه بأعوانه إلى الأماكن المختلفة وينادى أن أحداً لا يفعل منكراً ومن وجد عنده شيء من المنكر ينكل به^{٢٢٥}، ففي عام ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م، في عهد المظفر أحمد بن المؤيد شيخ نودى بكف الناس عن المنكرات كلها فكثرت الدعاء لنظام الملك^{٢٢٦} ومشت أحوال الناس وكثر البيع والشراء، وراجت البضائع^{٢٢٧}.

وعندما ظهر الطاعون عام ٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م، قام الأمير قرقماس الشعبانى حاجب الحُجّاب قياماً تاماً في إراقة الخمر وحرق الحشيش، وهدم مواضع الحانات وبيوت الفسق^{٢٢٨} وهاجم أماكن تجمع النساء^{٢٢٩}. وقد إجتمع السلطان الأشرف برسباى عام ٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م، بالقضاة الأربعة، وذكر القضاة للسلطان أنه حتى يزول الوباء والبلاء ينبغى للسلطان أن يمنع المظالم، وأن الناس يكثروا من الدعاء والإستغفار، ويبطل السلطان المكوس

٢١٩. ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٥٦٦. هذا وقد قيل أن الإحتفال بطل نهائياً عام ٧٥٥هـ/ ١٣٥٣، المقرئى، السلوك، ج٢، ص٩٢٦؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٨، ص٢٠٢؛ قاسم عبد قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص٣٠٦.
 ٢٢٠. المقرئى، السلوك، ج٢، ص٩٢٦؛ قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص٣٠٦.
 ٢٢١. قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصري، ص٧١؛ قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص٢٣٣..
 ٢٢٢. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص٤٣٩-٤٤٠.
 ٢٢٣. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٨٨.
 ٢٢٤. حياة ناصر الحجي، أحوال العامة في حكم المماليك، ص٧٢-٧٣.
 ٢٢٥. الصيرفى، إنباء المصر بأبناء العصر، ص٢٠٥.
 ٢٢٦. هو كافل الممالك، أنظر: المقرئى، السلوك، ج٤، ق٢، ص٥٦٥.
 ٢٢٧. المقرئى، السلوك، ج٤، ق٢، ص٥٦٦.
 ٢٢٨. ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص١٢٢.
 ٢٢٩. الصيرفى، نزهة النفوس والأبدان، ج٣، ص١٤٤.

ويقل الظلم من الحكام، لعل الله عز وجل يرفع عنهم الطاعون، وبالفعل فقد أمر السلطان أن ينادى في القاهرة بأن يتوب الناس من ذنوبهم، ويصوموا ثلاثة أيام متوالية ويكثر من الدعاء والتضرع إلى الله عز وجل^{٢٣٠}. وعندما حدث الوباء عام ٨٤١هـ / ١٤٣٧م، لم يقف السلطان أمام حدوثه عاجزاً، فعدّد مجلساً بالقلعة حضره بعض الفقهاء والقضاة وسألهم إن كان الله يعاقب الناس بالطاعون بسبب ما يقترفونه من الذنوب، فأجابته البعض بأن الزنا إذا تفسى بين الناس ظهر فيهم الطاعون، وأن النساء في مصر يمشين في الطرقات ليلاً ونهاراً بزيتهن، وقد أشار الفقهاء بمنع النساء من المشى في الأسواق، ومنع المتبرجات من الخروج ولكن السلطان أمر بمنع النساء من الخروج مطلقاً ظناً منه أن منعهن يرفع الطاعون^{٢٣١}، فنودى بالقاهرة ومصر وجميع الأماكن بمنع النساء من الخروج من بيوتهن وتهدد من خرجت من بيتها بالقتل، وأخذوا إلى القاهرة والحجاب في تتبع الطرقات وضرب من وجدوا من النساء^{٢٣٢}.

إلى جانب منع خروج العجائز والبغايا وأرباب المغاني لأنهم هم سبب وجود الوباء والطاعون، ظناً من ولاة الأمر أن بمنعهن يرتفع الوباء^{٢٣٣}، وتم أخذ القرار رسمياً فقد رسم السلطان للأمير أسنبغا الطيارى بأن يحجر على بنات الخطا ومنعهن من عمل الفاحشة وأمرهم بأن يتزوجوا وإلا يحجر عليهن^{٢٣٤}، وفي عهد الظاهر جقمق نودى بمنع النساء من الخروج إلى الطرقات والأسواق ولكن لم يتم ذلك^{٢٣٥}.

كل هذه الإجراءات إتخذها سلاطين المماليك وكبار رجال دولتهم فكانوا يتظاهرون بالعدل والخوف على أرواحهم أثناء إنتشار الأوبئة فيعلنون عن إلغاء الكثير من الضرائب والمغارم والمظالم، ففي عام ٩١٩هـ / ١٥١٣م، إشتدت وطأة الوباء على البلاد، وكان السلطان موهوماً على نفسه فأبطل عدداً كبيراً من الضرائب والمكوس^{٢٣٦}. وقد كان للقاضي الشيخ شهاب الدين أحمد المنوفى الشيخ الفاضل المُحل المعتقد الشافعى متولى الظاهرية القديمة بمصر، وقد تولى بلدة منوف العليا سنة ٩١٨هـ / ١٥١٢م، وبأشر القضاء بعفة ونزاهة، وطرده البغايا والمغاني من تلك الناحية، وأزال المنكرات واستخلص الحقوق^{٢٣٧}.

٢٣٠. ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص ١٣٢.

٢٣١. ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص ٤٠٤ - ٤٠٥؛ قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص ١٧٩؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٥، ص ٩٢ - ٩٣؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج٩، ص ٩.

٢٣٢. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٥، ص ٩٢ - ٩٣.

٢٣٣. المقرئى، السلوك، ج٤، ق٢، ص ١٠٣٢.

٢٣٤. ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص ١٨٤.

٢٣٥. ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص ٢٢٥.

٢٣٦. قاسم عبد قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص ٣٦٢.

٢٣٧. العماد الحنبلى، شذرات الذهب، ج١٠، ص ٢٠٧.

دور المحتسب في العصر المملوكي إزاء طائفة المغاني والنساء والآداب العامة

لا شك أن المرأة شغلت جانباً كبيراً من إهتمام والى الحسبة^{٢٣٨} فكان المحتسب يراقب المرأة وما ينبغى أن تكون عليه وما يحرم عليها فعلة وإرتداؤه^{٢٣٩}، وقد كان للحسبة دوراً عظيماً منذ بداية عهد سلاطين المماليك، ففي عهد السلطان الظاهر بيبرس ظهر دورها في الحد من إنتشار المنكرات والتظاهر بها^{٢٤٠}.

فظهر دورهم أعوام ٦٦٥هـ/١٢٦٦م، ٦٦٩ - ٦٧٠هـ/١٢٧١م عندما أريقت الخمر وأزيلت المنكرات، ومُنع البغاء والمغاني في مصر والقاهرة وأغلقت الحانات وحُبست النساء في المنازل، ونفّذت البلاد كلها جميع الأوامر^{٢٤١}.

ومن الجدير بالذكر هنا أن حسبة القاهرة كانت تضم أحياناً إلى أعمال والى القاهرة كما تسند حسبة الفسطاط إلى واليها أيضاً^{٢٤٢} كما كان يحدث أحياناً أن يساعد الوالى المحتسب على تسهيل مهماته ثم ينفرد المحتسب بتنفيذ هذه المهمات، هذا وقد إستمر محتسب العصر المملوكي في مراقبة الآداب العامة وظهور الناس بمظهر لائق في المجتمع ومنع شرب الخمر^{٢٤٣} ونتيجة تكرار الأزمات والأوبئة فقد صدرت مجموعة من الأوامر والمراسيم عام ٧٨٧هـ/١٣٨٥م أصدرها السلطان برقوق فأمر المحتسب بإبطال ما يحدث في عيد النيروز من القبايح واللهو والفجور وتجمع المغاني وما يترتب على ذلك من كثرة المشاحنات والمشاجرات وتعطيل الأسواق^{٢٤٤}، ويذكر ابن حجر أنه عام ٨٢٢هـ/١٤١٩م، ركب المحتسب والوالى وطافا على أماكن اللهو والفساد بالقاهرة وأراقا الخمر^{٢٤٥}.

وفي عصر السلطان الأشرف برسباى عين دولات خجا الظاهري برقوق المعزول عن ولاية القاهرة، فخلع عليه الأشرف برسباى باستقراره في حسبة القاهرة، وكانت رغبة السلطان في ولاية دولات خجا هذا بسبب النساء لأن السلطان يعلم شدته وقلة رحمته وجبروته^{٢٤٦} كل هذا وقد تعطلت البضائع، وكانت النسوة يموت أولادهن وأقاربهن

٢٣٨. والى الحسبة هو الناظر في شؤون الحسبة في الدولة الإسلامية، وهو موظف يعينه الخليفة أو الوزير أو القاضي، ابن خلدون، المقدمة، ج١، ص ١٨٧، للنظر في شؤون الرعية بأمرهم بما يوافق الشرع وينهاهم عما يخالفه في أعمالهم الدينية والدنيوية مما ليس من إختصاص القضاة والولاية والجابة (هو جمع جاب وهو من يجبى أو يحصل الخراج أو الزكاة أو الضرائب عادة) سهام أبو زيد، الحسبة، ص ١٠٥، حاشية ٣؛ السيد الباز العرينى، الحسبة والمحتسبون في مصر، ص ١٥٧، وهو داخل في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فله النظر في كل ما يهيم المسلمين في أسواقهم ومجتمعاتهم ومعاملاتهم بعضهم مع البعض، ويُعين من يراه أهلاً لذلك من الأعوان والأنصار. أنظر: الشيزرى، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص ١٠؛ ابن الإخوة، معالم القرية في أحكام الحسبة، ص ٦٥؛ سهام أبو زيد، الحسبة، ص ١٠٥. ومن وظيفته التنفيذية التغير باليد ككسر الملاحى وإراقة الخمر، أنظر: الغزالي، إحياء علوم الدين، ج٢، ص ٢٨٩.

٢٣٩. سهام أبو زيد، الحسبة، ص ١٨٩.

٢٤٠. الشهاوى، الحسبة في مصر الإسلامية، ص ١١٥.

٢٤١. الشهاوى، الحسبة في مصر الإسلامية، ص ١١٥؛ سهام أبو زيد، الحسبة، ص ١٨٩.

٢٤٢. القلقشندى، صبح الأعشى، ج١١، ص ٢١.

٢٤٣. سهام أبو زيد، الحسبة في مصر الإسلامية، ص ٩١.

٢٤٤. ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص ٢٦٣ - ٢٦٤.

٢٤٥. ابن حجر، أبناء الغمر، ج٢، ص ١٤٢؛ سهام أبو زيد، الحسبة في مصر الإسلامية، ص ٩١.

٢٤٦. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج١٥، ص ٩٤.

ولا تستطيع المرأة أن تخرج لترى قبر ولدها، فشق ذلك عليهن إلى الغاية، هذا مع تزايد الطاعون، كل ذلك لعدم أهلية الحكام وإستحسان الولاة على الخواطىء وإلا فالحرمة معروفة ولو كانت في الخمارة والفاجرة معروفة ولو كانت في البيت الحرام ولا يخفى ذلك على الذوق السليم^{٢٤٧}، والمثير للدهشة هنا أنه رغم الإجراءات المشددة التي إتخذها سلاطين المماليك وكبار رجال الدولة والفقهاء وغير ذلك لوقف الغناء أيام حدوث الأزمات والأوبئة إلا أننا نسمع على لسان مؤرخنا المقرئى أنه نتيجة حدوث الأزمات الإقتصادية وكساد سوق الجوارى المغانى فقد تم تخفيض ثلث المبلغ المقرر على كل ضامنة للمغانى من المبلغ المفروض عليها أن تدفعا للدولة^{٢٤٨} وعلى الرغم من وجود الولاة ورجال الدين الصالحين إلا أننا نجد على الجانب الآخر ولاة فاسدين وشيوخ غير صالحين.

فقد تولى تاج بن سيفه الشويكى الدمشقى ولاية القاهرة في عهد السلطان المؤيد شيخ المحمودى^{٢٤٩} القازانى الأصل، هذا وقد قرب السلطان والى القاهرة منه وأنعم عليه بإمرة استدارية الصحة^{٢٥٠} ثم ولاه حسبة القاهرة^{٢٥١} وكانت له الكلمة العليا في الدولة، وأخذ يتجاهر بالمعاصى والفسوق ولا يكف عن عمل كل قبيح، وكان مستخفاً بالمحارم متجاهراً بذلك، وداره كبعض الحانات لما بها من أنواع القبائح^{٢٥٢} والمنكرات. أضف إلى ذلك الشيخ الصفوى، فهو شيخ بن عبد الله الصفوى الأمير سيف الدين أمير مجلس المعروف بشيخ الخاصكى، كان من أمراء الملك الظاهر برقوق ومن أعيان دولته^{٢٥٣} وكان يميل كثيراً إلى اللهو والرقص وسماع المغانى والمساخر، وأرباب المغانى والملاهى، ولذلك سقطت منزلته عند السلطان^{٢٥٤}.

المحظون

طالما نتحدث عن الغناء وعلاقته بعامة الشعب فإأخذنا إلى الحديث عن المحظون هذا اللفظ عامى الصيغة وأغلب الظن أنه كان ينتمى إلى الفارسية أو التركية، ولكنه يبدو أنه محرف عن العربية (المحذون) أى الذين يستحسنون شيئاً ويستجيدونه ويتشددون به ويغنون، وفرق المحظين هذه كانت فرقا مغنية غناءً جماعياً إلى جانب الطرب وألوان من الفكاهة والتندر والملح^{٢٥٥}.

٢٤٧. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٥، ص٩٥.
 ٢٤٨. المقرئى، السلوك، ج٢، ق٣، ص٧٨٣.
 ٢٤٩. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٥، ص١٩٨؛ السخاوى، الضوء اللامع، ج٣، ص٢٤؛ المقرئى، السلوك، ج٤، ص٩٨٣؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص١٦٥؛ ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، ج٤، ص٥.
 ٢٥٠. الأستاذية: وظيفة من وظائف أرباب السيوف يتولى صاحبها شؤون بيوت السلطان أو الأمير كلها من المطابخ والشراب خاناه والحاشية والغلمان وله مطلق التصرف في إستدعاء ما يحتاجه البيت من النفقات والكساوى وما يجرى ذلك، أنظر: القلقشندى، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٠، ج٥، ص٤٧٥.
 ٢٥١. ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، ج٤، ص٦.
 ٢٥٢. ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، ج٤، ص٨.
 ٢٥٣. ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، ج٦، ص٣١٣.
 ٢٥٤. ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، ج٦، ص٣١٤.
 ٢٥٥. محمد قنديل، الطرب، ص١٢٣.

ويذكر ابن إياس أن المماليك والناس في عصر المماليك كانوا يستمتعون بإستماع المحبطين^{٢٥٦} ومن أشهر المحبطين محمد الريس فئات العنبر وهو رئيس المحبطين في عهد ابن إياس^{٢٥٧}.
ونستدل مما سبق على أن التحبيظ كان صناعة غنائية، وأيضاً أن المحبطين كانوا أعضاء في تلك الفرق الغنائية الذين ينتمون إليها ويؤدون أدوارها المختلفة من غناء وفكاهة.
ونلاحظ ان إقبال السلاطين والأمراء بل عامة الناس وأوساطهم يقبلون على الأغاني الشعبية والبدوية، ويمكن القول بصريح العبارة أن غناء المحبطين كان خاصاً بالأغاني الشعبية، ثم كان خاصاً بالأغاني البدوية أي أغاني البدو التي لها تطريب خاص وإيقاع متميز^{٢٥٨}.
وقد كانت القاهرة تحظى بمغنى من المحبطين إسمه الشيخ حمزة، وكان لا يعلو تخته بين البطانه التي تسانده إلا وعليه جبة وقفطان من ألوان زاهية تلفت النظر وبعد أن يؤدي هذا المغنى غناه من الأغاني الخفيفة يتبع هذا الغناء ببعض النوادر والفكاهات^{٢٥٩}.

موقف المجتمع^{٢٦٠} (عامية الشعب) من طائفة المغاني

الناس على دين ملوكهم، فقد كان المصريون يقيمون حفلات غنائية ترفيهية، أشبه بما كان يفعله المماليك من قبل، ولكن المماليك كانوا في ذلك أكثر بذخاً وأكثر إسرافاً، بل قل أن الشعب المصرى كان صاحب هذا البذخ وصاحب هذا الإسراف، لأنه كان يجد فيه متنفساً بنفسه به عن نفسه بالإستماع إلى المطربين والمطربات، فقد كان المماليك يشركون الأهالي في إحتفالاتهم وقد كانت إحتفالات عامة كل على وفق ما يميله يساره وجاهة خاصة في إحتفالات شهر رمضان والموالد الدينية، وما أظن أن الأمر في تلك الحفلات يتسع إلا للمقرئين والموشحين وأصحاب الموالد^{٢٦١}، فقد كان شهر رمضان بحفلاته العامرة ميداناً للعبادة كما كان ميداناً للطرب حيث الأغاني الدينية من مغنين مبرزين^{٢٦٢}، وقد كان الإحتفال بعيدى الفطر والأضحى إحتفالاً فخماً ضخماً ولقد كان الحفل حفل الناس وكأن السلطان إقامة للناس، وكلا من الموسيقيين والمؤلفين والمغنيين كانوا يستعدون لهذا العيد وذلك، فالمؤلفون يضعون قصائدهم التي تناسب المقام والمغنون يتدربون على أدائها بما يناسب المقام^{٢٦٣}.

٢٥٦. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ٢٨١.

٢٥٧. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٢٢١.

٢٥٨. محمد قنديل، الطرب، ص ١٢٤.

٢٥٩. محمد قنديل، الطرب، ص ١٢٦ - ١٢٧.

٢٦٠. يذكر المقرئ في كتابه «إغاثة الأمة» أن طبقات المجتمع في مصر سبعة أقسام، أهل الدولة، أهل البسار من التجار الباعة، وأصحاب البر وأرباب المعاش، أهل الفلح وهم الزراعات والحرث، الفقراء وطلاب العلم والكثير من الأجناد، أرباب الصنائع والأجراء وأرباب المهن والحمالون والخدم والسواس والحاقة والبناء والفعلة ونحوهم، وأخيراً ذو الحاجة والمسكنة وهم السؤال الذين يتكفون الناس ويعيشون معهم، أنظر: المقرئ، إغاثة الأمة، ص ٧٢-٧٥.

٢٦١. محمد قنديل، الطرب، ص ٣٠.

٢٦٢. محمد قنديل، الطرب، ص ٣٤.

٢٦٣. محمد قنديل، الطرب، ص ٣٥.

وأصبح للمغنين والمغنيات حظوة وكأنه لدى سلاطين المماليك أولاً، ثم أمرائهم ثانياً، ثم الشعب من بعدهم ثالثاً، فالناس على دين ملوكهم، كما سبق أن ذكرنا فإذا ما جنح أولو الأمر إلى شيء فيه متعة وفيه ترويح عن النفس وفيه راحة للقلوب والخواطر، ولم يكن معه ما يشوبه من خروج على شرع سماوى، أو سنة مألوفة أو عادة متبعة لم يتخلف الشعب عن السير في ركاب الأمراء والسلاطين يتبعونهم في كل ما يفعلون، كل على قدر طاقته تهاهياً وإفتخاراً، ومنذ القدم كان الغناء أمراً مستطاباً يتعشقه البادى والحاضر، ويطلب له الفقير والأمير، بل نرى الرعية تتعشقه عن طبيعة وهوى كائن، على حين قد يتعشقه الأمراء والسلاطين عن ترف وتباه، فعشق الشعوب للغناء سلقى طبعي يقبلون عليه عن حسن ووعى وإستطابة إستجادة، على حين يقبل كل شيء ثم عن إظهار التباهى والتفاخر فيسرفون ما يسرفون ويحتضنون المغنيين والمغنيات ويؤثرونهم بالكثير مما يملكون، ولكن من كتب له الحظ من المغنيين والمغنيات أن يكون ذا حظوة عند أمير أو سلطان شق طريقة في يسر ونال الدرجات بسهولة، فالفرق هنا كبير بين ما تسبغه العامة على المغنى أو المغنية، وبين ما يسبغه الأمير أو السلطان على هذا أو ذلك.

هذا وقد تعددت المناسبات والأفراح المختلفة التي كثرت فيها عمل طائفة المغاني لعامة الشعب إلى جانب أعراس الفلاحون فقد اعتاد أن يظهر دور المغنيات والراقصات، فيها فعندما ترقص الجارية وسط جموع الرجال، تطوف عليهم وفي يدها الرق لتجمع عوايدها من الفلاحين والعرب^{٢٦٤} وقد كان أهل الذمة يقيمون أفراحهم في الملاهي ويسمعون المغاني كما هي العادة المتبعة لديهم^{٢٦٥} هذا إلى جانب المناسبات الأخرى الخاصة بالولادة فإذا وضعت الأم مولودها أقيمت عليها النساء يزغردن ويرفعن أصواتهن بذلك مع ضرب الدفوف والرقص واللهو والغناء واللعب في حين تعمل الآلات الأخرى كالمزامير والأبواق على أبواب المنزل وتستمر الأفراح لمدة سبعة أيام^{٢٦٦} في حضور المغاني، أضف إلى ذلك حفلات الختان التي كانت تحدث بين جميع طوائف البشر بداية من السلطان وأبناءه، والأمراء كما سبق أن ذكرناه، نهاية بعامة الشعب، فكثيراً ما طالت الأفراح الخاصة بهذه المناسبة فكانت تستمر أحياناً من ثلاثة إلى سبعة أيام، هذا بالإضافة إلى مناسبات الحج التي أقيمت فيها الأفراح بحضور المغاني وإقامة الولائم وضرب على باب الحاج بالطلل والأبواق والمزامير ويسمون ذلك تهنئة الحاج^{٢٦٧} وقد كانت المآتم أيضاً عند عامة الشعب تقام بالمغاني والندابات اللاتي يضربن بالطارات والدفوف كما كُنَّ يلطن على وجوههن^{٢٦٨} وقد شجع سلاطين المماليك طائفة الغناء على عملها في الإحتفال بالمولد النبوي الشريف أو بمعنى أصح الإحتفال بالأعياد الدينية، فقد حرص سلاطين المماليك وعامة الشعب على الإحتفال في هذه الحفلات فجاءوا بالمغاني وآلات الطرب وتسابقوا في اللعب والدُف^{٢٦٩}.

٢٦٤. Dopp, «Le Caire», p. 145.

٢٦٥. ابن حجر، إنباء الغمر، ج١، ص ٣٥١؛ سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص ١٣٧.

٢٦٦. سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص ١٣٧.

٢٦٧. ابن الحاج، المدخل، ج٤، ص ٢١٦.

٢٦٨. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ٤٦؛ المقرئ، السلوك، ج١، ص ٣٧١.

٢٦٩. ابن حجر، إنباء الغمر، ج١، ص ٣٥١؛ ابن الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، ج١، ص ١٦٨؛ ابن الحاج، المدخل، ج٢، ص ٦٢؛ سعيد

عاشور، المجتمع المصري، ص ١٩٩.

فكان الإحتفال يفوق الوصف من حيث العظمة والفاخرة^{٢٧٠} فقد كان المنشدون في الإنشاد يمدحون الرسول عليه الصلاة والسلام وكانت تأتي طوائف الفقراء طائفة بعد أخرى ومعهم رئيس المغنيين ويستمررون في الرقص^{٢٧١} هذا وإن دل فيدل على تشجيعهم المستمر للغناء والمغنيين، فقد بلغ مقرر بعض المادحين والمغنيين في ليلة المولد من السلطان ألف درهم^{٢٧٢} فقد كان السلطان يمنح هؤلاء المغنيين الكثير والكثير من المال فهم يشجعون الغناء والمغنيين، ويغدقون عليهم الأموال التي لا تُحصى ولا تُعد، وكان يتم الإحتفال بالمولد النبوي الشريف على مدار العصر المملوكي بشقيه البحري والچركسى، بالإضافة إلى ما كانت تنطوي عليه هذه الإحتفالات وتلك المواسم من إتاحة الفرصة للقراء والمنشدين والمغنيين والمرتلين سواء في أعياد رأس السنة الهجرية التي كانت عادة فاطمية، ولكن المماليك زادوا فيها وأبدعوا، فقد كان يتردد إلى القلعة أصوات القارئ المجددين والمنشدين، والناس تجتمع من هنا وهناك يسمعون ويستجيدون^{٢٧٣}.

ويظهر دورهم أيضاً لعامة الشعب في الإحتفال بعيد الأضحى فيحدثنا ابن الحاج عن مفسدة كبرى كانت تحدث في الأعياد وبخاصة عيد الأضحى، وهي أن تخرج جماعة من الفتيات يطلق عليهن «بنات العيد» إلى الطرقات بعد أن يتزين ويكشفن وجوههن ثم يأخذن في الغناء والضرب بالدفوف، ويطنن بالأسواق، والحوانيت، والبيوت بجمع ما يوجد به الناس عليهن^{٢٧٤}.

بالإضافة إلى دورهن أيضاً في مناسبة وفاء النيل وكسر الخليج، فقد كان إحتفال عامة الشعب بوفاء النيل منذ فجر التاريخ إحتفالاً عظيماً فقد كان النيل^{٢٧٥} مصدر قلق وخوف دائم عند المصريين فإذا تأخر وتوقف عن الزيادة عم الناس القلق لإرتفاع أسعار القمح، وإذا وقى النيل ستة عشر ذراعاً^{٢٧٦} نادى المناد وصار ذلك مشاعاً عند جميع الناس، وتعتبر تلك الليلة بمثابة فرح عظيم وتوقد الشموع وتزين القاهرة، فيبدأ دور المغاني فيستمررون في الغناء لمن يكون حاضراً في دار المقياس^{٢٧٧}.

وقد ذكر أحد الرحالة أن حياة مصر كلها تتوقف على فيضان النيل، وإليه مرجع الثروة الطائلة التي نشاهدها في مصر^{٢٧٨} أما يوم كسر الخليج فكان يوماً مشهوداً في القاهرة ومصر لا سيما جزيرة الروضة، ففي ذلك اليوم تغلق جميع الأسواق في مصر والقاهرة ويُعم الناس البشر والفرح فيسرعون إلى النيل على هيئة مواكب حيث يستأجرون

٢٧٠. سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص ١٩٧.

٢٧١. ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج١، ص ٢٦.

٢٧٢. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٥، ص ٥٧٥.

٢٧٣. محمد قنديل، الطرب، ص ٣٩.

٢٧٤. ابن الحاج، المدخل، ج١، ص ٢٨٦؛ سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص ٢١٢.

٢٧٥. Hymas, *Soil and Civilization*, p. 46; Lorin, *L'Égypte d'aujourd'hui*, p. 129.

محمد عوض محمد، نهر النيل في الأدب، ص ٣؛ محمد حمدى المناوى، نهر النيل في المكتبة العربية، ص ١٣؛ جمال حمدان، شخصية مصر، ج٢، ص ٨٧٦. Ball, *Egypt in the Classical Geographers*, p. 2, Johnston; *A History of the Colonization of Africa*, p. 7.

٢٧٦. السيوطى، مبدأ النيل على التحرير، ورقة ٣؛ المنوفى، الفيض المديد، مخطوط، ورقة (١٠)، ص ٢٠؛ المقرئى، الخطط، ج١، ص ٦١؛ المسعودى، مروج الذهب، ج١، ص ٣٤٢؛ عبد الطيف البغدادى، الإفادة والاعتبار، ص ٥٧؛ القلقشندى، صبح الأعشى، ج٣، ص ٢٩٦؛ ابن مماتى، قوانين الدواوين، ص ٧٦؛ قاسم عبد قاسم، النيل والمجتمع المصرى، ص ١٦؛ أمين سامى، تقويم النيل، المقدمة.

٢٧٧. ابن دقاق، الإنتصار، ج٤، ص ١١٤ - ١١٥.

٢٧٨. Schelfer, *Voyage*, p. 206-207.

السفن ويملؤها بالطرب والغناء، هذا وقد جرت العادة بكتابة البشائر إلى سائر أعمال الدولة حتى يعم الفرح جميع الناس^{٢٧٩} عامة الشعب (مسلمين وأقباط)، ومن الأعياد التي شارك فيها المسلمون إخوانهم الأقباط في عصر سلاطين المماليك وكان للمغنيات دوراً فيها (عيد الشهيد) واعتاد النصارى أن يحتفلوا بذلك اليوم بالقاء تابوت في نهر النيل به أحد أصابع أسلافهم من الحواريين، وجرت العادة أن يكون الإحتفال بعيد الشهيد في ناحيه شبرا، فيذهب إلى هناك النصارى كما يخرج جميع أهل القاهرة ومصر على إختلاف طبقاتهم بحيث لا يبق مغن ولا مغنية ولا صاحب لهو ولا بغى، ولا محدث ولا ماجن ولا خليع إلا ويخرج لهذا العيد^{٢٨٠} وعند حفر خليج أو جسر في مواقع العمل كانت الحركة الدائبة ترسم صورة مهرجان شامل فيفد الباعة ببضاعتهم من المأكولات والمشروبات يبيعونها للعمال والفعلة كما تحضر إلى مكان العمل المغاني من سائر أنحاء البلاد ومعهم الطبول والزمور ففي عام ٨١٨هـ / ١٤١٥م، نودى للناس للتحضير وخرجت طوائف المصريين إلى موقع العمل، ومع كل طائفة منهم الطبول والزمور وكان ذلك مدعاة لاجتماع الناس من الرجال والنساء للفرجة^{٢٨١}.

فعلى الرغم من إنشغال عامة الشعب وولع عدد كبير منهم بالموسيقى والغناء سواء في الأفراح والحفلات المنزلية أو في الإحتفالات العامة أو في حياتهم اليومية، فكانوا يسعون إلى الأماكن التي يغني فيها المطربون لكي يستمعوا إليهم، فقد إعتاد المصريون من عامة الشعب آنذاك على إحياء حفلاتهم بالغناء والموسيقى، بل إنه كانت توجد في المدن المصرية قاعات مخصصة لعمل حفلات الزواج والأفراح^{٢٨٢}.

حتي أن حفلات المولد النبوي، كان المصريون يحتفلون بها في منازلهم بإحضار الفرق الموسيقية والمطربين مما أثار إستياء بعض المتدينين^{٢٨٣} كما سبق أن ذكرناه.

كما أن ولع المجتمع المصري بالموسيقى والغناء بلغ حداً جعلهم يصطحبون معهم آلات الموسيقى والغناء في القوارب للقيام بنزهة على مياه النيل وعندما يتوجهون إلى القرافة^{٢٨٤}، فقد إعتبر الناس القرافة مكاناً للهو والتفريح عن الناس فخرجوا إليها في الليالي المقمرة، وهناك يدعون الأهل والأصدقاء وقيموه الولائم ومعهم أولادهم ونسأؤهم^{٢٨٥} فيكثر الغناء والرقص ويحدث الفساد^{٢٨٦} وذلك إصطحاب المغاني وجوقات العوالم معهم^{٢٨٧} وقد كان هناك سوق محدد تباع فيه الآلات الموسيقية، وفيه أيضاً كان يجلس العاطلون من الموسيقين والمطربين والمطربات والراقصات في إنتظار من يدعوهم لإحياء حفل أو عرس، ومن الأمور الطريفة أنه شاع في أوساط المصريين

٢٧٩. Dopp, *L'Égypte*, p. 20-21; Dopp, «Le Caire», p. 122.

ابن دقياق، الإنتصار، ج٤، ص ١١٥.

٢٨٠. المقرئ، الخطط، ج١، ص ١١٠ (بولاق)؛ قاسم عبد قاسم، النيل والمجتمع المصري، ص ٤٧ - ٤٨.

٢٨١. قاسم عبد قاسم، النيل والمجتمع المصري، ص ٣٦.

٢٨٢. ابن دقياق، الإنتصار، ج٤، ص ١٣؛ ابن الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، ج١، ص ٦٧.

٢٨٣. ابن الحاج، المدخل، ج٢، ص ٢.

٢٨٤. ابن الحاج، المدخل، ج١، ص ٢٤٦، ٢٦٨، ٢٨٣، ٢٩٠.

٢٨٥. ابن بطوطة، الرحلة، ج١، ص ٧٤.

٢٨٦. ابن الحاج، المدخل، ج١، ص ٢٦٧-٢٧٠.

٢٨٧. المقرئ، الخطط، ج٣، ص ٢٣٣-٢٤٤؛ ابن الحاج، المدخل، ج١، ص ٢٤٦.

أنداك أن من يمر من هذا المكان لا تقضي له حاجة^{٢٨٨} وهو ما يكشف عن موقف مزدوج من المجتمع المصري في ذلك الحين تجاه أصحاب هذه الحرفة، فعلي الرغم من إقبال المصريين على الموسيقى والغناء والإستمتاع بها فإن المجتمع المصري تحفظ في نظرتة للفنانين الذين كانوا يقدمون لهم هذه الفنون، وهو موقف مازالت بقاياه موجودة في مجتمعنا الحالي^{٢٨٩}.

ولا شك أن وجود هذه الفئة من نساء طائفة المغاني السيئات في أى مجتمع يسمح للمجتمع بأن، تعامل المرأة الشريفة بالاحترام والتقدير اللائقين بها، فالسيدة السيئة السمعة لا يحترمها المجتمع وقد نظر لطائفة المغاني على أنها هي أساس الفساد والبلاء الذي يحل بالمجتمع في كل شئ وهن وراء ما يحدث في كل أزمة، فهى تمثل كبش الفداء، حيث يحملها الرجل بل المجتمع بأسره نتائج أفعالها المشينة ثم يبنذها المجتمع بعد ذلك ولم تحظي بأي تقدير أو أي إهتمام من كافة فئات المجتمع، وهو بالفعل ما حدث عندما كان المجتمع يبنذ هذه الطائفة خاصة في وقت حدوث الأزمات الأقتصادية وعندما يحل الوباء والبلاء والطاعون ويتغلغلون في سائر أنحاء المجتمع، كما سبق وأن ذكرناه.

وبعد فهذه دراسة تهدف إلى التعريف بطائفة المغاني وأدوارها المختلفة في عصر سلاطين المماليك، وكيف أن سلاطين المماليك عملوا على تشجيع هذه الطائفة وتقريبها منهم، وقد كانت هذه الطائفة تدّر دخلاً كبيراً للدولة المملوكية وكانت الدولة تشجع هذا الدخل وتسمح به ولم تجد غضاضة في توظيف شخص مسؤول عن هذا الدخل لجمعه ووضعها في خزانة الدولة.

إختلف موقف سلاطين المماليك من وجود طائفة المغاني فتارة يشجعونها ويقربونها منهم في مناسباتهم المختلفة سواء في أفراحهم، وختان أبنائهم، ورحلاتهم، وتشجيع هذه الطائفة على إستقبال هؤلاء السلاطين عند رجوعهم من الحج أو عند رجوعهم منتصرين من الحرب، فلم يجد معظم السلاطين أى غضاضة من وجود هذه الطائفة بالقرب منهم.

وقد إختلف هذا الموقف عند حدوث الأزمات الاقتصادية فقد ألغى معظم السلاطين عمل هذه الطائفة وأرجأوا حدوث هذه الأزمات والأوبئة والأمراض المختلفة نظراً للفساد المستشري في المجتمع وعمل هذه الطائفة، فقد ألزموا هذه الطائفة بل جميع النساء بالجلوس في بيوتهن وعدم الخروج منها وبعد أن تنتهى الأزمة تعود الأمور إلى ما كانت عليه بل أسوأ.

لبعض سلاطين المماليك موقف حاسم من وجود طائفة المغاني، فلم يرغب البعض في وجود هذه الطائفة مثل السلطان الظاهر بيبرس الذي كان متشدداً في الضرب على أيدي المفسدين في جميع البلاد فأزال المنكرات بكافة أشكالها وأنواعها، أضف إلى ذلك كره السلطان الظاهر چمقمق لأهل اللهو والطرب وحبه لمجالسة الفقهاء حتى قيل أن الناس تابوا وأصبحوا صالحين وتزهدوا في العبادة.

٢٨٨. القلفشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص١٤٣؛ المقرئى، الخطط، ج١، ص٣٧٩ (بولاق).

٢٨٩. قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك، ص٣٣٥.

أوضحت الدراسة أن الغناء لم يقتصر على النساء فقط بل إشتمل على الرجال أيضاً وذاع صيت الكثير من المنشدين والملحنين ولكن السلاطين ومعظم الناس بل جميعهم فضلوا المغنيات النساء على المغنيين من الرجال. أوضحت الدراسة إرتفاع قدر المغنيات بزواجهن من السلاطين المماليك بالإضافة إلى أن المغاني كن سبباً في الإطاحة ببعض السلاطين وخراب الدولة لإنشغال السلاطين بهؤلاء المغاني. أوضحت الدراسة رفض الفقهاء ورجال الدين لطائفة المغاني وإعتراضهن على ضمان المغاني على الرغم من وجود ولاية وشيوخ صالحين يحاربون الفساد من جميع الوجوه، نجد على الجانب الآخر ولاية فاسدين وشيوخ غير صالحين وهذا ما أوضحتته الدراسة أيضاً.

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية

- ابن الإخوة، (محمد بن محمد بن أحمد القرشي)، معالم القرية في أحكام الحسبة، نقله وصححه (روبن لُوي)، م كمبردج، ١٩٣٧م.
- ابن الحاج، (أبو عبدالله محمد بن محمد) المدخل إلى الشرع الشريف، القاهرة، ١٩٢٩م.
- ابن الفرات، (ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم)، تاريخ ابن الفرات، تحقيق قسطنطين رزيق، نجلا عز الدين، المجلد الثامن، بيروت، ١٩٣٩م.
- ابن إياس، (محمد بن أحمد) بدائع الزهور في وقائع الدهور، حققه محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٣١١هـ.
- ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، المساهة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، القاهرة ١٩٦٤م.
- ابن تغري بردي، (جمال الدين أبو المحاسن يوسف)، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، القاهرة، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م، وهناك محقق آخر د. محمد محمد أمين، القاهرة، ١٩٩٣م.
- ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م.
- ، حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين، القاهرة، ١٩٩٠م.
- ابن حجر (الحافظ بن حجر العسقلاني)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، القاهرة، ١٩٦٦م.
- ، إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق: د. حسن حبشي، القاهرة، ١٩٦٩م.
- ابن دقماق، (إبراهيم بن محمد بن أيدير العلائي)، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، القاهرة، ١٣١٤هـ.
- ابن كثير، (عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي)، البداية والنهاية في التاريخ، ج١٣، القاهرة، ١٩٦٦م.
- ابن ممتي، (الأسد بن ممتي الوزير الأيوبي)، كتاب قوانين الدواوين، تحقيق: عزيز سوريال عطية، مطبعة مصر، طبع الجمعية الزراعية الملكية، ١٨٩٨م.

- ابن منظور، (أبى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المعروف بابن منظور الإفريقي المصرى الأنصارى الخزرجى)، لسان العرب، بيروت، د.ت .
- الحنبل، (عبدالحى أحمد)، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، القدس، ١٣٥٠ م.
- العيني، (بدر الدين محمود العيني)، السيف المهند فى سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودى، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، محمد مصطفى زيادة، القاهرة، ١٩٦٧ م .
- الرازى، مختار الصحاح، تحقيق محمود خاطر، بيروت، ١٩٩٥ م.
- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.ت.
- السبكي، (تاج الدين عبد الوهاب السبكي)، معيد النعم ومبيد النقم، القاهرة، ١٩٩٣ م.
- السخاوى، (شمس الدين محمد بن عبدالرحمن بن أبى بكر عثمان السخاوى)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج ١٠، بيروت، د.ت.
- السيوطى، (جلال الدين السيوطى الشافعى)، مبدأ النيل على التحرير، مخطوط بدار الكتب المصرية، ٣٨١ جغرافيا.
- ، حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة، القاهرة ١٣٨٧ هـ.
- الشيورى، (عبد الرحمن بن نصر الشيورى)، نهاية الرتبة فى طلب الحسبة، تحقيق السيد الباز العرينى، القاهرة، ١٩٤٦ م.
- الصيرفى، (علي بن داود الصيرفى المعروف بالخطيب الجوهري)، إنباء الهصر بأنباء العصر، القاهرة، ١٩٧٠ م.
- ، نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان، تحقيق: د. حسن حبشى، القاهرة، ١٩٧٠ م.
- الغزالي، (أبو حامد محمد بن محمد بن محمد)، إحياء علوم الدين، ج ٢، المطبعة البيمنية، القاهرة، د.ت.
- القلقشندي، (أبو العباس أحمد بن علي)، صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء، القاهرة، ١٩١٣ - ١٩٢٢ م.
- المسبحى، (الأمير المختار عز الملك محمد بن عبد الله أحمد)، أخبار مصر، تحقيق أيمن فؤاد سيد وتيري بيانكي، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية، القاهرة.
- المسعودى، (أبى الحسن على بن الحسين بن على المسعودى)، مروج الذهب ومعادن الجواهر، تحقيق: محمد محى الدين عبد الحميد، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٦٤ م.
- المقرى الفيومى، المصباح المنير، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٨٧ م (هناك طبعة أخرى للمقرى الفيومى، مصباح المنير فى غريب الشرح الكبير، القاهرة، ١٩١٠ م).
- المقريزى، (تقي الدين أحمد بن علي)، إغاثة الأمة بكشف الغمة، أو تاريخ المجاعات فى مصر، حمص، ١٩٥٦ م.
- ، المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، طبعة بولاق، القاهرة، ١٢٧٠ هـ/ ١٨٥٤ م.
- ، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، القاهرة، سنة ١٩٤٣ م.
- ياقوت الحموى، (الشيخ الإمام شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى)، معجم البلدان، بيروت، ١٩٥٧ م.

ثانيا : المراجع العربية

- أحمد السيد الصاوي، أوراق من تاريخ عمل المرأة المصرية، مركز قضايا المرأة المصرية، القاهرة، د.ت.
- ، مجاعات مصر الفاطمية، القاهرة، ١٩٨٨ م.
- السيد الباز العريني، الحسبة والمحاسبون في مصر، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الثالث، القاهرة، ١٩٥٠ م.
- الشهاوي، الحسبة في مصر الإسلامية، القاهرة، د.ت.
- أمين سامي، تقويم النيل، القاهرة، ١٩١٦ م.
- جمال حمدان، شخصية مصر، القاهرة، ١٩٨٠ م.
- حسن الباشا، أثر المرأة في فنون القاهرة، القاهرة، ١٩٧٠ م.
- ، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، القاهرة، ١٩٦٥ م.
- حسن الساعاتي، مشكلة البغاء، القاهرة، ١٩٦١ م.
- حسني محمد ربيع، النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين، القاهرة، ١٩٩٠ م.
- حسين مصطفى حسين، طوائف الحرفيين، رسالة دكتوراه، القاهرة، ١٩٨٧ م.
- حياة ناصر الحجى، أحوال العامة في حكم المماليك، الكويت، ١٩٩٤ م.
- خليل بدوي، موسوعة شهيرات النساء، القاهرة، ١٩٩٨ م.
- راشد البراوي، حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين، القاهرة، ١٩٤٨ م.
- سعيد عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، القاهرة، ١٩٦٢ م.
- سهام أبوزيد، الحسبة في مصر الإسلامية، القاهرة، ١٩٨٦ م.
- سيدة الكاشف، مصر في عصر الاخشيديين، القاهرة، ١٩٥٠ م.
- ، مصر في عصر الولاة، سلسلة الألف كتاب (٢٤١)، القاهرة، ١٩٥٠ م.
- سامية علي مصيلحي، البغاء في مصر في العصر المملوكي، حوليات آداب عين شمس، المجلد ٣٣، القاهرة، ٢٠٠٥ م.
- ضياء الدين بيبرس، الخراج والنظم المالية للدولة الفاطمية، القاهرة، ١٩٦٩ م.
- عبد اللطيف بن يوسف بن محمد البغدادى، الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، القاهرة، أشرف على اعداد هذه الطبعة وقدم لها د. عبد الرحمن عبدالله الشيخ، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨ م.
- على السيد على محمود، الجوارى في مجتمع القاهرة المملوكية، القاهرة، ١٩٨٨ م.
- قاسم عبده قاسم، أسواق مصر في عصر سلاطين المماليك، القاهرة، ١٩٧٦ م.
- ، النيل والمجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، القاهرة، ١٩٧٨ م.
- ، دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي عصر سلاطين المماليك، القاهرة، ١٩٨٣ م.
- ليل عبد اللطيف، دراسات في تاريخ ومؤرخى مصر والشام إبان العصر العثماني، القاهرة، د.ت.
- محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، دمشق، ١٩٩٠ م.
- محمد بن حسن، المختار المصون من أعلام القرون، مج ١، دار الاندلس، ١٩٩٥ م.
- محمد جمال الدين سرور، تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، القاهرة، د.ت.
- محمد حمدي المناوي، نهر النيل في المكتبة العربية، القاهرة، ١٩٩٦ م.

- محمد رمزي، القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين الى سنة ١٩٤٥، القسم الأول، البلاد المدرسة، القاهرة، ١٩٥٣-١٩٥٤ م.
- محمد زغلول سلام، الأدب في العصر المملوكي، ج ١، القاهرة، د.ت.
- محمد عوض محمد، نهر النيل في الأدب، المجلة، العدد ٨، المحرم سنة ١٣٧٧ هـ، أغسطس، القاهرة، ١٩٥٧ م.
- محمد قنديل البقلي، الطرب في العصر المملوكي، القاهرة، ١٩٨٤ م.
- محمد نيازى حتاتة، جرائم البغاء، رسالة دكتوراه، القاهرة، ١٩٦١ م.
- نجية إسحق عبدالله، فرج عبد القادر، سيكولوجية البغاء، القاهرة، ١٩٨٤ م.
- نريان عبدالكريم، المرأة في العصر الفاطمي، القاهرة، ١٩٩٣ م.

ثالثاً: المراجع الأجنبية

- Ashtor, E., *A Social and Economic History of the Near East in the Middle Age*, Collins, London, 1979.
- Alien, R., *The Nile Quest*, London, 1903.
- Ball, J., *Egypt in the Classical Geographers*, Gor. Press, Cairo, 1942.
- Beauvoir, S., *The Second Sex*, Translated from the French by H.M. Parshley, A Four Square Book, London, 1963.
- Dopp, P. H., *Le Caire vu par les voyageurs occidentaux du Moyen-Âge*, *Bulletin de la Societé royale de géographie d'Égypte* 22, Le Caire, 1951.
- , *L'Égypte au commencement du quinzième siècle*, Le Caire, 1950.
- Dozy, R., *Supplément aux dictionnaires arabes*, 2 vols, Leyden, 1881 (Paris, 1927).
- Hymas, E., *Soil and Civilization*, London, 1952.
- Johnston, Sir Harry Hamilton, *A History of the Colonization of Africa by Alien Races*, Cambridge, 1905.
- Lorin, H., *L'Égypte d'aujourd'hui*, Le Caire, 1926.
- Quatremère, E. (trad.), *Histoire des sultans mamlouks de l'Égypte*, Paris, 1837.
- Schefer, Ch., *Le voyage d'outre-mer (Égypte, Mont Sinay, Palestine) de Jean Thenaud*, Paris, 1864.

رابعاً: الشبكة الدولية للمعلومات

<http://www.aqsa.com>
<http://www.hartaka.blogspot.com>
<http://www.landcivi.com>

<http://www.azminah.com>
<http://www.neelwafurat.com>
<http://www.fustat.com>